كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

المعاني الفرعية لصيغة افتعل في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد

د/ عبد المنعم عبد الرحمن أحمد

مدرس أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الخامس)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

المعاني الفرعية لصيغة " افتعل" في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النفسي

عبدالمنعم عبدالرحمن أحمد عبدالله
قسم أصول اللغة – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – أسيوط – مصر.
البريد الإلكتروني :abdelmonem-gadallah.47@azhar.edu.eg

الملخص :

إن القرآن الكريم كان – ولايزال – المصدر الخصب للدراسات العربية، ولا سيما اللغوية منها، فقد قامت هذه الدراسات حوله من جميع الجوانب المتعلقة به، كل يؤدي واجبه على أكمل وجه، ولا يزال القرآن حافلاً بكل جديد، وقادرًا على تحمل ما جد من العلوم وتطويع تلك العلوم له، ومن العلوم التي استحدثت في عصرنا الحديث [علم اللغة النفسي]الذي هو فرع من فروع [علم اللغة العام]، وموضوع هذا العلم مرتبط بالظواهر النفسية، وأثرها على اللغة، ولقد كانت صيغة [افتعل] من الصيغ كثيرة الورود فى القرآن الكريم، فأردت تتبع هذه الصيغة ومشتقاتها التي ترجع إلى أصل واحد، فوجدتها في بعض الأحوال تتفرع إلى معان زائدة على المعنى العام الذي تدل عليه، فرأيت أنه من الممكن ربط هذه المعاني الفرعية بالجوانب النفسية المحيطة بالنص. وقد بدأت بحثي بمقدمة تناولت فيها تقسيمات البحث، وأهم الأسباب والدوافع التي جعلتني أقوم باختياره، والمنهج الذي سرت عليه في معالجة مادته. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مبحثين، تحدثت في المبحث الأول: عن صيغة افتعل من حيث : دلالتها، وتركيبها، وعلاقتها بالجانب النفسي، وتحدثت في المبحث الثاني: عن ألفاظ الافتعال التي تفرعت إلى معان زائدة على المعنى الأصلي، وربطت بين تلك المعاني، والجانب النفسي المحيط بها، والذي كان سببًا من أسباب العدول إلى تلك الصيغة من دون أصلها المجرد، ثم ختمت

المبحث بجدول جمعت فيه صيغ الافتعال الواردة في القرآن الكريم، والتي لم تتفرع إلى معانٍ فرعية، وبينت عدد ورودها، ومعانيها، وإسنادها.

الكلمات المفتاحية :علم اللغة النفسي – صيغة – المعاني الفرعية – القرآن الكريم .

Sub-meanings of the formula (افتعل) in the Holy Quran

In the light of psycholinguistics

Abdul Moneim Abdul Rahman Ahmed Abdullah
Department of Language Origins - Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University - Assiut - Egypt.
Email: abdelmonem-gadallah.47@azhar.edu.eg

Abstract:

The Noble Qur'an was , and still is , the fertile source for Arabic studies, especially linguistic ones. These studies have been conducted around it from all aspects related to it, each fulfilling his duty to the fullest, and the Qur'an is still full of everything new and able to endure which was renewed Of sciences and adapt those sciences to him. One of the sciences that have been developed in our modern era is [psycholinguistics], which is a branch of [general linguistics], and the subject of this science is related to psychological phenomena and their impact on language. And the formula (افتعل) is one of the formulas that are mentioned frequently in the Noble Qur'an, so I wanted to follow this formula and its derivatives that go back to a single origin, In some cases, I found that it branched into meanings in addition to the general meaning that they indicate, so I thought that it was possible to link these sub-meanings to the psychological aspects surrounding the text. I began my research with an introduction in which I dealt with the divisions of the research, the most important reasons and motives that made me choose it, and the approach that I followed in dealing with its subject. The nature of this research required that it come

in two topics. In the first section I talked about a formula (افتعل) in terms of : Its significance, its composition, and its relationship to the psychological aspect, and in the second topic I talked about verbal expressions that branched into meanings in excess of the original meaning, and linked these meanings and the aspect The psychological surrounding her, which was one of the reasons for returning to that formula without its abstract origin. Then she concluded the research with a table in which she collected the verbal formulas mentioned in the Holy Qur'an, which did not branch into sub-meanings, and showed the number of their occurrences, their meanings, and their attribution.

Keywords: Psycholinguistics - Formula - Sub-meanings - the Holy Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل العربية خير اللغات، واصطفاها كي تتحمل أعلى وأسمى الآيات، والصلاة والسلام على النبي الأمي العربي، سيد العرب، وكنز الطلب، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد،،

فإن القرآن الكريم كان – ولا يزال – المصدر الخصب، والمورد العذب للدراسات العربية، لا سيما اللغوية منها، فقد قامت هذه الدراسات حوله من جميع الجوانب المتعلقة به، كل يؤدي واجبه على أكمل وجه، ولا يزال القرآن حافلاً بكل جديد، وقادرًا على تحمل ما جد من العلوم وتطويع تلك العلوم له، ومن العلوم التي استحدثت في عصرنا الحديث [علم اللغة النفسي] الذي هو فرع من فروع [علم اللغة العام]، وموضوع هذا العلم مرتبط بالظواهر النفسية، وأثرها على اللغة، وسيأتي بيان ذلك في المبحث الأول. ولقد كانت صيغة [افتعل] من الصيغ كثيرة الورود فى القرآن الكريم، فأردت تتبع هذه الصيغة ومشتقاتها التي ترجع إلى أصل واحد، فوجدتها في كثير من الأحوال تتفرع إلى معان زائدة على المعنى العام الذي تدل عليه، فرأيت أنه من الممكن ربط هذه المعاني الفرعية بالجوانب النفسية المحيطة بالنص، وتجدر الإشارة إلى أن الهدف الأساس للعدول من فعل إلى افتعل هو تقوية المعنى وتوكيده، وهذه الدراسة لها أصول قديمة عند علمائنا القدامى، تتمثل في مسألة زيادة المبنى لزيادة المعنى، أو العكس، فقد ربط علماء اللغة القدامى – وعلى رأسهم العلامة ابن جني – بين الزيادة فى اللفظ وبين المعنى الذي يدل عليه، وعقد لهذه الظاهرة بابًا في كتابه [الخصائص] سماه [قوة اللفظ

لقوة المعنى]، وتناول فيه أمثلة كثيرة تؤكد هذه الظاهرة[1]، وسيأتي الحديث عن هذه الظاهرة بالتفصيل في المبحث الأول.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة قد قتلت بحثًا، وأشبعت فحصًا، والجديد هنا هو إضافة معان فرعية جديدة أدت إليها صيغة الافتعال حال ارتباطها بالظروف والأحوال النفسية لدى المتكلم أو السامع، والجو النفسي بصفة عامة؛ ولهذا آثرت تسمية هذا البحث بعنوان يشمل كل هذه المعاني التي أردت إبرازها، فجاء البحث بعنوان: [المعاني الفرعية لصيغة افتعل في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النفسي] وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أمور أوجزها فيما يلي:

١- إبراز قدرة النص القرآني على تحمل النظريات والأفكار العلمية الحديثة ذات الطابع اللغوي، مما يَعْكُس جانبا من جوانب إعجازه في اللغة التي نزل بها.

٢- إظهار مدى اتساع اللغة العربية وقدرتها على أداء معان متنوعة بلفظ واحد، قد لحقت به زيادة سابقة أو لاحقة أو متوسطة، أو كل هذه الأمور مجتمعة، ويمكن تسمية هذا النوع من الألفاظ بـ [المشترك المصنوع]؛ عن طريق الزيادة التي لحقته.

٣- التأكيد على أصالة العلوم العربية، وسبقها للنظريات الغربية الحديثة، والتي منها ما اصطلح على تسميته: [علم اللغة النفسي]، عن طريق بيان الإرهاصات الأولى لهذه النظرية عند المفسرين وعلماء المعاني.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

(١) ينظر: الخصائص: ٣/٢٦٤.

- المقدمة: عرجت فيها على ارتباط العلوم العربية بالقرآن الكريم، كما أشرت إلى مضمون البحث، وأوقفت القارئ على أبعاده، وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجي الذي سرت عليه.

- المبحث الأول: صيغة "افتعل" وعلم اللغة النفسي. تحدثت فيه عن صيغة افتعل من حيث دلالتها، وتركيبها المقطعي، وآراء العلماء – قديمًا وحديثًا – في اطراد دلالتها على التوكيد، وزيادة المعنى، كما تحدثت فيه عن العلاقة بين الجانب النفسي والافتعال.

- المبحث الثاني: المعاني الفرعية لصيغة افتعل في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النفسي. وقد قمت في هذا المبحث بجمع الصيغ الدالة على الافتعال من كتاب الله – ﷻ – وقارنت بينها وبين الصيغ المجردة، من حيث إضافة معنى زائد للافتعال، ثم تطرقت إلى المعنى الأصلي [العام] للصيغة، والمعاني الفرعية لها، وقمت بالربط بين هذه الصيغ، وبين الجو النفسي المحيط بالنص باعتباره عاملًا مهمًا في إيثار تلك الصيغ على أصلها المجرد.

- الخاتمة: تحدثت فيها عن نتائج البحث وتوصياته.

- فهرس المصادر والمراجع.

منهجي الذي سرت عليه:

نظرا لطبيعة هذا البحث، ومحاولة استيعاب أبعاده، فقد كان منهجي فيه قائما على هذه الأسس:

١- اتبعت المنهج الاستقرائي في حصر الألفاظ التي قمت بدراستها، فعمدت إلى جمع كل الألفاظ الدالة على الافتعال في القرآن الكريم، والتي تؤدي معانى فرعية زائدة على المعنى الأصلي.

٢- آثرت المنهج الاستنباطي القائم على أساس من الاجتهاد الذاتي في كثير من الأحيان؛ كي يتسنى لي القدرة على الربط بين تلك المعاني، والأجواء النفسية المحيطة بالنص.

٣- اعتمدت على المعجمات اللفظية في بيان المعنى الأصلي للفظ المدروس، لا سيما معجم مقاييس اللغة للعلامة ابن فارس، وما شابهه من كتب ومعجمات عُنيت ببيان المعاني المركزية للألفاظ.

٤- رجعت إلى كتب التفسير لاستخراج المعاني المتعددة للفظ الدال على الافتعال.

٥- أرجأت كثيرًا من الألفاظ الدالة على الافتعال، والتي لم تخرج عن المعنى الأصلي [العام] والتي لم تدل على معان فرعية، وجمعتها في جدول آخر البحث.

٦- رتبت الكلمات محل الدراسة ترتيبًا ألفبائيًا بعد تجريدها من الزوائد.

٧- رتبت الأعلام الواردة في البحث - عند معالجة المسائل - ترتيبًا تاريخيًا تبعًا لسنة الوفاة.

٨- اعتمدت على كتب الفروق في التفريق بين معنى اللفظ الدال على الافتعال، واللفظ المجرد منه.

٩- عزوت الآيات القرآنية، إلى مواطنها من كتاب الله - ﷻ -.

وأخيرا أسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا العمل مقبولًا، ومفيدًا لأهل العربية، وأن يكون فتحًا في هذا الجانب، وأن يكون موضع رضا عند أساتذتي وأهل التخصص، والله الموفق والمستعان وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

صيغة افتعل وعلم اللغة النفسي

أولا: افتعل عند علماء اللغة [قدامى ومحدثين]:

دلالة افتعل:

الفعل في كل لغة، وفي كل لغة راقية على وجه الخصوص، هو مصدر التعبير عن أفكار المتحدثين بهذه اللغة، هو اللفظ الذي يصور النشاط والحركة، وكل ما تموج به حياة البشر من فكر ووجدان. ويدلنا على هذا أن اللغات البدائية، التي لا تتعدد فيها صور الحياة المتطورة – تعتمد – أكثر – ما تعتمد – على الأسماء، وتستعين بقدر قليل من الأفعال، وحينما يرتفع مستوى تفكيرها إلى الحاجة إلى مزيد من التمييز بين صور نشاطها التي يعبر عنها بصيغ "الأفعال "تستعين عندئذ بإضافة ألفاظ إلى مجموعة "الأفعال" التي لديها ألفاظ تُعدِّل معاني هذه الأفعال وتنوع دلالاتها، وقد كان اختيار النحاة العرب المصطلح "فعل " لهذا الجزء من الجملة اختيارًا موفقًا، وهو لا شك اختيار مستوحى من معناه ووظيفته في اللغة، فهو مصدر الفعل و النشاط والحركة والحياة في التعبير(١). وإذا كان الأمر كذلك في الفعل المجرد فهذا أدعى في الفعل المزيد ؛لأن في زيادة المبنى زيادة للمعنى المراد في حركته ونشاطه ودلالته، وصيغة (افتعل) من الصيغ المزيدة التي تؤدي معاني لا تؤديها الصيغ المجردة منها، قال ابن قتيبة في [باب افتعلت ومواضعها]: "تأتي افتعلت بمعنى اتخذت ذلك، تقول: " اشتويت" أي: اتخذت شواء، وشويت أنضجت، وكذلك "اختبرت" و"خبرت"، و"اطبخت" و"طبخت" و"اذبحت" و"ذبحت"، فذبحت: قتلت، واذبحت: اتخذت ذبيحة، وحبسته كقولك: ضبطته، و"احتبسته": اتخذته حبيسا، وأما كسب فمعناه: أصاب و"اكتسب "فمعناه: تصرف

(١) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الأفعال للسرقسطي ص ٣، ٤.

وطلب، و"الاعتمال" بمنزلة الاضطراب.... وتأتي" افتعلت" بمعنى "تفاعلت" من اثنين، نحو "اقتتلنا" بمنزلة تقاتلنا وأشباهها "[1]. فالنص السابق يحدد معنيين اثنين لـ "افتعل"، وهو الاتخاذ، والمشاركة، وهي مع ذلك تضيف معنى القوة والاجتهاد والمبالغة في الفعل، قال ابن جني عند حديثه عن [باب في قوة اللفظ لقوة المعنى]: " ومثله – أي: مثل الفعل الذي تكررت عينه وزيدت فيه الواو – باب (فعل وافتعل) نحو: قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر، كذلك قال أبو العباس[2]، وهو محض القياس، قال الله – سبحانه –: ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[3]، فمقتدر هنا أوفق من قادر، من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر، وشدة الأخذ، وعليه عندي قول الله – ﷻ –: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[4]، وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة لاكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر"[5]. وساق ابن جني أمثلة كثيرة تدل على هذه الظاهرة وتثبتها، وقال ابن الأثير الجزري: "القادر اسم فاعل من قَدَرَ يَقدِرُ، والقدير فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ[6] " ونقل السيوطي عن طائفة من العلماء أن الزائد جيء به للتوكيد [7]، وقال ابن تيمية: "لا يذكر القرآن لفظًا مزيدًا إلا لمعنى زائد، وإن كان ضمن ذلك التوكيد"[8]،

(١) أدب الكاتب: ص ٤٦٩.

(٢) يعني به المبرد.

(٣) القمر: من الآية (٤٢).

(٤) البقرة: من الآية (٢٨٦)

(٥) الخصائص: ٢٦٥، ٢٦٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٢/٤.

(٧) ينظر: الأشباه والنظائر:٢٤٣/٢.

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية: ص ١٦، وينظر: دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتابه الخصائص، د/ محمد الأمين خويلد: ص ٣٥.

وذكر الرضي الاستراباذي أن الزائد له فائدتان: معنوية ولفظية، فأما المعنوية فهي زيادة تأكيد المعنى الثابت وتقويته، وأما اللفظية فهي تزيين اللفظ(١).

يقول الدكتور/ محمد شندول متحدثًا عن دلالة تلك الصيغة: " أدّى هذا النمط الصيغي في مدونتنا ثلاثة معاني، وهي المطاوعة، والمشاركة، وقيام الفاعل بالفعل بنفسه، ولا يختلف القدماء والمحدثون في تحليلهم لأهم معاني هذا النمط، وهو المطاوعة في ما لا يدل من الأفعال على المعالجة،... وعليه فإن (افتعل) هو في الاستعمال العام مجرد مناوب لأنماط صيغية أخرى، ليس فقط في الدلالة على المطاوعة، بل أيضًا في أخرى مختلفة. وهو، رغم محاولة تقييسه، قد بقي أوسع من أن تشمله قاعدة، فهو نمط صيغي قادر على الإفلات من الضوابط المعيارية، ولا يخضع إلّا لقانون الاستبدال الصيغي العام "(٢) ، وهي المعاني الثلاث التي تدل عليها هذه الصيغة.

ولا شك أن هذه الظاهرة تُعَدُّ ميزة من ميزات اللغة العربية ؛حيث تجعلها لغة معبرة عن ألفاظها وحروفها، بعيدة عن الجمود، والانخراط في قالب تعبيري واحد، يودي بها إلى الموت والتخلف، ولكن في الوقت نفسه يجب أن تكون هناك ضوابط لهذه الظاهرة حتى لا نخرج بها عن مرادها ومقاصدها، ومن ثم ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى وضع شروط لهذه الظاهرة، فرأى أن زيادة المبنى تتبعها زيادة في المعنى بشرطين اثنين:

أولهما: اتفاق الكلمة المجردة والمزيدة في الأصل الاشتقاقي، مثل: كسب واكتسب، وقدر واقتدر، وخشن واخشوشن،... إلخ، أما إذا تداخلت الأصول فلا يستقيم هذا الأمر؛ لأنه يؤدي إلى موت عنصر مهم في مفهوم هذه القاعدة، ألا

(١) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب: ٤/٤٣٢.

(٢) التطور اللغوى في العربية الحديثة: د/ محمد شندول ص: ٢١٣، ٢١٤.

وهو التنظيم بين الصور المختلفة، وكيف يحصل ؟ فمثلا كلمة "رخو"، و" رخود " إذا قلنا: إن زيادة المبنى في الثانية أدَّى إلى زيادة المعنى بعد أن علمنا أن الأولى بمعنى الضعف، والثانية بمعنى التثني العائد إليه، فهو ضعف مع لازم من لوازمه، فبإهمال الفرق بين الأصل الاشتقاقي في الكلمتين السابقتين، وإعطاء الأهمية للجانب المعنوي المبني على أسس غير بنيوية يقع الكثير من التداخل في هذه القاعدة العريضة، ف"رخو" أصلها "ر، خ، و"، بينما "رخود" أصلها "ر، خ، و، د"، فالأولى أصولها ثلاثية، والثانية أصولها رباعية، ولا يتأتى الربط بينهما في معنى واحد إلا عن طريق التقارب فقط، لتقارب الأصول، أما أن نجمع بينهما في دلالة واحدة، ونجعل إحداهما أقوى في الدلالة من الأخرى فلا يصح ؛ لعدم اتفاقهما في الأصل الاشتقاقي.

ثانيهما: عدم الاعتداد باللوازم العقلية للألفاظ، بمعنى عدم البحث عما يستلزمه اللفظ من معاني افتراضية يتطلبها وجوده، فكلمة " تمييز " تدل على حالة التبيين، وهي تستلزم وجود الُمَمَّيز[اسم الفاعل]، الُمَمَّيز[اسم المفعول]، وكلاهما أمران لزوميان لتلك الصيغة، فالعقل هو الذي استدعى تلك المعاني، وليست الدلالة الأصلية النابعة من ذات اللفظ إلى المتلقي، أو السامع، فلا ينبغي عندئذ، أن نقارن بين تلك الصيغة وبين كلمة "مميز"؛ لأن هذه الصيغة لا تستدعي إلا اسم الفاعل فحسب، فلا يدخل هذا الأمر تحت هذه القاعدة ؛ لأنه لزوم عقلي نشأ من دلالة المصدر واسم الفاعل، ولم ينشأ من ذات الألفاظ [1].

وأرى أن الصواب فيما ذهب إليه هذا الباحث حتى تستقل الأصول بعضها عن بعض، ولا تتداخل فالثلاثي له خصائصه، وغيره من الأوزان له خصائصه، كما

(١) ينظر: مشكلة زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم: د/محمد زنون يونس ص ٢.

أن استدعاء الصور العقلية للألفاظ من دون تحرٍ للمعنى المقصود يؤدي إلى اختراع معاني احتمالية لا تعبر عن اللفظ ذاته، فالعبرة إذاً في هذه الظاهرة حتى تؤتي ثمارها المرجوة أن يلتزم المطبق لها بالشرطين السابقين من دون تعدٍ.

صياغة افتعل وتركيبها:

لقد سبق القول بأن صيغة " افتعل "من الصيغ المزيدة، وأصلها "فعل "المجرد، فزيدت فيه همزة الوصل أولًا، والتاء ثانية بعد الفاء، وقد أشار علماؤنا القدامى إلى هذه الصيغة، وبينوا تركيبها، قال سيبويه: " وتلحق التاء ثانية ويسكن أول الحرف فيلزمها ألف الوصل في الابتداء وتكون على (افتعل يفتعل) في جميع ما صُرفت فيه "انفعل" – يعني الدالة على المطاوعة – ولا تلحق التاء ثانية والذي قبلها من نفس الحرف إلا في افتعل [(١)]" ونظائرها: كل فعل ماضيه على خمسة أحرف بزيادة الهمزة في أوله، والتاء بين الفاء والعين[(٢)]. فالأفعال تلزمها الزوائد وتتصرف بها، ألا ترى أن قولك: اقتدر، واستخرج، وقاتل، واغدودن، واعلوّط، قد خرّجت هذه الأفعال إلى معانٍ بالزوائد، لولا هذه الزوائد لم تعلم[(٣)].

وقال ابن جني متحدثًا عن هذه الصيغة، ومبينًا بعض خصائصها،: "ومما لا يراجع فيه من الأصول [باب افتعل] إذا كانت فاؤه صادًا، أو ضادًا، أو طاءً، أو ظاءً، فإن تاءه تبدل طاء، نحو: اصطبر، واطرد، واظطلم، وكذلك إذا كانت فاؤه دالاً، أو ذالاً، أو زياً، فإن تاءه تبدل دالاً، وذلك نحو قولك: ادّلج، وادّكر، وازدان، فلا يجوز خروج هذه التاء على أصلها، ولم يأت ذلك في نثر ولا نظم [(٤)].

---

(١) الكتاب: ٢٨٣/٤، وينظر: المقتضب للمبرد: ١٤١/١، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس: ٧٠/١.

(٢) ينظر: المنصف لابن جنى: ٧٤/١.

(٣) المقتضب: ٢٠١/١.

(٤) الخصائص: ٣٤٩/٢، وينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري: ٢٤٢/٢.

وشرط صياغة (افتعل) أن يكون الفعل المجرد مما يتعمده العاقل عقلاً، أو إرادة، ولهذا لا يصح صياغة افتعل من (حار وحاشا) ومن (سقم ومرض)؛ إذ لا يتأتى أن يتعمد العاقل مثل هذه الأفعال عادة، فأنت لا تقول: احتار، واختشى، أو استقم وامترض، ويكون (افتعل) متعديًا ولازمًا، فإذا كان متعديًا كانت له صور متعددة، أظهرها: أن يراد به القيام بالفعل عمدًا أو قصدًا أو تخصيصًا، فأنت تقول: شممت الورد، ولا يعني هذا أن الشم قد حصل بالعمد أو القصد، فإذا قلت: اشتممت الورد فقد أردت العمد، وكذلك قولك: استمعت الحديث بدلًا من سمعته، واحتللت البلد بدلا من حللته، وكذلك قولك: خصصته واختصصته، وكسبت المال واكتسبته، ففي الاكتساب تخصيص، أما إذا كان (افتعل) لازمًا فأوضح صورة أن يدل على المطاوعة، كقولك: أبعدته فابتعد، وأسعرت النار وأضرمتها فاستعرت واضطرمت، ومددته فامتد، وجمعته فاجتمع، وخصصته بالمعونة فاختص بها، أي: انفرد. وكل فعل مطاوع لازم، ولا عكس. ومما جاء من (افتعل) متعديًا ولازمًا(اختص)، فمثال اللازم: ما جاء في اللسان " اختص فلان بالأمر وتخصص له، أي: انفرد به، ومثال المتعدي: قوله – تعالى – : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(١)(٢).

وتتركب صيغة افتعل من خمسة صوامت، وأربعة صوائت قصيرة يوضحها التقسيم المقطعي التالي: [اِ – ف /تَ – /عَ – /لَ –] فهي تتكون من أربعة مقاطع، فالأول مقطع متوسط مغلق، والثلاثة الأخرى عبارة عن ثلاثة مقاطع مفتوحة قصيرة، وقد عدها الدكتور/ محمد شندول من الوحدات المعجمية المزيدة

(١) البقرة: من الآية (١٠٥)، والشاهد: أن الفعل (يختص) قد تعدى إلى مفعوله بنفسه وهو قوله (من يشاء) فالاسم الموصول وصلته في محل نصب مفعول به.

(٢) ينظر: دراسات في النحو: د/ صلاح الدين الزعبلاوي ص ٦٦٥ – ٦٦٧.

بزائدتين، وعدَدُها في المعجم ثلاث وعشرون، ونسبتها المئوية في الصيغ المزيدة تمثل ١٢ %[١]، وقد احتل النبر في هذه الصيغة المقطع الثاني التي تمثله التاء المفتوحة، و " التَّاء صوت أسنانيّ لثويّ انفجاريّ مهموس؛ فعند نطق التَّاء يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة. ويضغط الهواء مدة من الزمن خلف طرف اللسان، ثم ينفصل فجأة تاركًا نقطة الالتقاء، فيحدُث صوت انفجاري " [٢]. مما جعل مورفيم الافتعال يؤدي وظائف صرفية ونحوية ودلالية لا تؤديها الصيغة المجردة منه، ومعنى هذا أن المقطع المزيد هو المقصود بالعناية والاهتمام، ويتوجه إليه العقل في فهم المعنى المراد، فهو صاحب التأثير فى إنشاء معاني فرعية جديدة، فضلاً عن دلالته الأصلية التي تفيد القوة والمبالغة، كما أن له تأثيراً كبيراً وقدرة عجيبة للتعبير عما يدور في النفس من رغبات وتطلعات، وهواجس وتخوفات، وسيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني.

ثانياً: الجانب النفسي وعلاقته بالافتعال:

قبل الحديث عن الجانب النفسي وعلاقته بالافتعال سوف أشير إلى علم اللغة النفسي من حيث التعريف به، وعلاقته بعلم اللغة العام، وبيان موضوعاته، وأهدافه ومجالاته، وعلاقته بالمستويات اللغوية، وهاك بيان ذلك بإيجاز:

علم اللغة النفسي وعلاقته بعلم اللغة العام:

لقد تعددت التعريفات لهذا العلم الناشئ الجديد، وجميع التعريفات الواردة حول ماهيته ترجع إلى علماء الغرب؛ لأنه قد نشأ عندهم وشب لديهم، ومن هذه التعريفات: أنه: فرع من فروع علم اللغة، يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي، والعمليات النفسية التي يُعتقد أنها تفسر ذلك السلوك. ومن هذه التعريفات، أنه:

(١) ينظر: التطور الدلالي في العربية الحديثة: ص ١٧١.

(٢) في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث: د/ شرف الدين الراجحي ص٤٩.

العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهما وإنتاجا، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها [١]. إلى غير ذلك من تعريفات، وقد اخترت هذين التعريفين باعتبار أنهما يحددان العلاقة بين الجانب النفسي للإنسان عند استعماله اللغة كأداة للتعبير عما يدور في خلده، وتنطوي عليه مشاعره، ويكمن في نفسه. ويعد علم اللغة النفسي فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي، وفق الاتجاه الحديث في علم اللغة، وهو الاتجاه الذي يرى أن اللغة الإنسانية معرفة فطرية، لا بنية شكلية، وأن دراستها يجب ألا تقتصر على الأبنية الشكلية الظاهرية، وإنما تشمل- بالإضافة إلى ذلك - الجوانب العقلية المعرفية في فهم اللغة، واستعمالها، واكتسابها، وتعلمها وتعليمها، وما يرتبط بذلك من مشاكل ومشكلات[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فريقًا من العلماء يستعملون مصطلح (علم النفس اللغوي) بدلا من مصطلح (علم اللغة النفسي) وكلاهما يدل على علاقة وثيقة بين علم اللغة وعلم النفس ؛ بسبب العلاقة الوثيقة بين اللغة الإنسانية والنفس البشرية، إذ لا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل، والتصور، وردود الفعل، كما أن اللغة لا يمكن دراستها بمعزل عن العوامل النفسية، والعقلية، والاجتماعية، مثلما أنه لا تُغفل الجوانب الشكلية من اللغة [٣].

وترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد

---

(١) ينظر: علم اللغة النفسي، د/ عبدالعزيز العصيلي ص٢٦،

(٢) المرجع السابق: ص١٣، وينظر: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه د/جلال شرف الدين: ٨/١ المقدمة، ودراسات في اللسانيات التطبيقية: د/ حلمي خليل ص ٧٣، ٧٤.

(٣) ينظر: علم اللغة النفسي: د/عبدالعزيز العصيلي ص ٣٢، ٣٣، وينظر: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه: د/ جلال شرف الدين ١١/١ المقدمة، ودراسات في اللسانيات التطبيقية ص ٩٢ - ٩٤.

مظاهر السلوك الإنساني، فإذا كان علم النفس يُعنى بدراسة السلوك الإنساني عموما، فإن دراسة السلوك اللغوي تعد أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس، وهناك فرق أساس بين منهج اللغويين، وعلماء النفس تجاه الظواهر اللغوية، فقد صرف علماء النفس جهدهم إلى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الإنساني، وركزوا جهدهم على الظواهر العامة مثل التعلم والإدراك والقدرات، ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه، وقد أفاد علماء النفس في السنوات الأخيرة من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي، ويرى بعض اللغويين وعلماء النفس أن دراسة السلوك اللغوي إسهام مثمر لا لفهم اللغة فحسب، بل لتكوين النظرية العامة لعلم النفس [١].

موضوع علم اللغة النفسي وأهدافه ومجالاته:

يعد موضوع علم اللغة النفسي هو اللغة نفسها، أي: دراسة اللغة والبحث فيها: وصفًا، وتحليلًا، واكتسابًا، وتعلمًا، وتعليمًا [٢]. و"يستخدم الإنسان اللغة في الإشارة إلى أشياء حسية،ويستخدمها أيضا في التعبير عن أفكار ذهنية مجردة"[٣].

أما عن أهدافه ومجالاته فيمكن إيجازها فيما يلي:

١- فهم اللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة.

٢- إصدار الكلام، بدءًا بالعمليات النفسية التي تسبق الكلام، ومرورا بإنتاج الكلام نفسه فسيولوجيا، ثم مروره بالوسط الفيزيائي الناقل له، حتى وصوله إلى أذن السامع.

---

(١) ينظر: يَرَاعٌ في علم اللغة العام د/ زين كامل الخويسكي ص ٢٧ - ٢٩، وعلم اللغة التطبيقي وتعليم العربية: د/ عبده الراجحي ص ٢٣، ودراسات في اللسانيات التطبيقية ص ٩٦.

(٢) ينظر: علم اللغة النفسي: د/ عبدالعزيز العصيلي ص٣٤.

(٣) مدخل إلى اللغة: د/ محمد حسن عبدالعزيزص٢٦.

٣- اكتساب اللغة، سواء أكانت لغة أماً، أم لغة ثانية، أم أجنبية.

٤- العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواح فسيولوجية، وفيزيائية، وسمعية، وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك، سواء أكانت عوامل داخلية، أم عوامل خارجية.

٥- المشكلات والاضطرابات اللغوية، كعيوب النطق الخلقية، أو العيوب التي تحدث نتيجة الإصابات التي قد يتعرض لها الإنسان.

٦- الثنائية اللغوية، والتعددية اللغوية، ودراسة ما يتعلق بها من مسائل ومشكلات في اكتساب اللغة الأم أو الثانية.

٧- دراسة العمليات النفسية التي تحدث في أثناء القراءة، والتي أُصطلح على تسميتها بعلم القراءة النفسي، والتي أصبحت علمًا مستقلًا [١].

أما عن علاقته بالمستويات اللغوية فإنها تكمن في أن دراسة المستويات اللغوية، أو مستويات التحليل اللغوي، مهمة في أي بحث أو كتاب في علم اللغة النفسي، وليست وقفاً على الدراسة أو التأليف في علم اللغة العام، وذلك للأسباب الآتية:

١- أن علم اللغة، الذي يُعدّ علم اللغة النفسي أحد فروعه، هو: العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية من جميع جوانبها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والأسلوبية، والتداولية، والثقافية، ويبحث في أساليب اكتسابها، وتعلمها وتعليمها، وهذه الجوانب تتحكم فيها عوامل نفسية معرفية نظرية، من حيث اكتساب اللغة وفهمها وتعلمها.

٢- أن اللغة التي هي موضوع علم اللغة النفسي، مكونة من هذه المستويات

(١) ينظر: علم اللغة النفسي د/عبدالعزيز العصيلي: ٣٥،٣٦، وينظر: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه: د/جلال شرف الدين ١/٩،٨ المقدمة.

الأربعة (الأصوات والصرف، والنحو، والدلالة)، وكل نشاط لغوي في أي مستوى من هذه المستويات مرتبط بالجوانب النفسية الداخلية التي يتحكم فيها الجهاز العصبي المركزي الذي يمثله الدماغ، بل إن لكل نشاط لغوي مركزا خاصا به في الدماغ، وبناء على ذلك، فإن الحديث في علم اللغة النفسي ينبغي أن يشمل التعريف بالمستويات اللغوية هذه، وهذا الشمول يُعدّ أبرز القضايا التي تفرق بين مصطلحي: علم اللغة النفسي بوصفه فرعا من فروع الدراسات اللغوية، وعلم النفس اللغوي بوصفه فرعا من فروع علم النفس(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث في علم اللغة النفسي يدرس هذه الجوانب اللغوية دراسة لغوية نفسية، من حيث علاقتها باكتساب اللغة، واستعمالها في الفهم والإنتاج، ويدع التفصيل الوصفي النظري لعلم اللغة العام بفروعه المعروفة (٢).

" وباختصار يمكن القول بأن علم اللغة النفسي يدرس كل الموضوعات التي تعرض بصورة أو بأخرى لعلاقة اللغة بالفكر، أو لكيفية فهم السامع لما يسمع، وكيفية اختزان مفرداته في الذاكرة ومدى صعوبة استحضارها أو سهولته، وكيفية اختزانه لجمل اللغة – أيختزنها بحسب معانيها أم بحسب ألفاظها... إلخ " (٣). وبعد هذا العرض الموجز، سوف أنتقل إلى الحديث عن الجانب النفسي وعلاقته بالافتعال، والذي يمثل نقطة الارتكاز في هذا المبحث: فإذا كان علم اللغة النفسي يشمل – كما بينت – مستويات اللغة الأربع، فإن العلاقة بينه وبين كل مستوى من

(١) ينظر: علم اللغة النفسي د/ عبدالعزيز العصيلي ص٥٥، ٥٦.

(٢) المرجع السابق: ص٥٩.

(٣) في علم اللغة العام: د/ شرف الدين الراجحي ص ٣٠، وينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: د/ كمال بشر ص ٥٠.

هذه المستويات ثابتة ومتحققة، والافتعال يمثل الجانب الصرفي من هذه المستويات إذ به يمثل الوحدة اللغوية التي تسمى بالمورفيم، وهذه الوحدة لها وظائف صرفية ونحوية ودلالية، أما عن الوظيفة الدلالية – وهي التي تهمنا هنا – فتتمثل في تقوية المعني وتأكيده والمبالغة فيه، فضلا عن المعاني التي تؤديها تلك الصيغة، فالافتعال يؤدي معاني لا تؤديها الكلمة المجردة منه، فهو يدل في معناه العام على الاشتراك في شيء "ما" كما يدل في دلالاته الفرعية على معان أخرى، يساعد في استنتاجها ما يدور حولها من اتجاهات نفسية، فالاتجاه النفسي له دور عظيم في استنباط المعاني واستخراجها، وقد سبق القول بأن صيغة افتعل تتكون من مجموعة من المقاطع، وهذه المقاطع المتتابعة بها مقطع أكثر أهمية، وهو المقطع المزيد الذي وقع عليه النبر، و "النبر: تتابع من المقاطع يتميز واحد منها عن المقاطع الأخرى بقدر أكبر من ضغط الرئة عليه، فيسمع أوضح من غيره من الأصوات والمقاطع الأخرى "[1] والافتعال يمثل جزءًا من ألفاظ العربية، وصيغة مهمة من صيغها، التي تؤدي دلالات متنوعة، وهذه الدلالات مرتبطة بالجانب النفسي ومعبرة عنه فقد "ارتبطت اللغة الإنسانية ارتباطاً قويًا منذ أن عرف الإنسان نفسه على هذه الأرض، فهي القناة التي يعبر الإنسان من خلالها عن مقاصده ومشاعره وانفعالاته، ولا شك أن اللغات تتأثر بالاتجاهات والعوامل النفسية التي تعتور الإنسان، فاللغة من أبرز مظاهر السلوك الإنساني، لذلك تخضع لجملة من العوامل النفسية التي تطرأ على السلوك ؛ لأن اللغة هُوية الإنسان، والإنسان كائن تحركه مجموعة من العوامل النفسية، وإن نتيجة هذا التأثير تنعكس على أنظمة اللغة ومستوياتها كلها. فاللغة مرآة تعكس مشاعر الإنسان وانفعالاته واتجاهاته النفسية الأخرى، فإذا تأثر الإنسان من أي شيء تأثرًا نفسيًا، فإن صدى ذلك الشيء ينعكس

(١) دراسة الصوت اللغوي: د/أحمد مختار عمر ص١٣٦.

في لغته، لذلك تُعدّ اللغات أصدق سجل لحفظ عادات الأمم وتقاليدها واتجاهات تفكيرها، فالتطور الثقافي والاجتماعي، وما ينتاب الإنسان من مشاعر عاطفية، واتجاهات نفسية، كل هذه العوامل مجتمعة تنعكس على اللغة، وتسهم بطريقة أو بأخرى في إحداث تغيير فيها، لذا قد تكون الناحية النفسية للإنسان سببًا في تغيير دلالات الألفاظ؛ لأن اللغة كما يقول (دي سوسير) لها جانبان: الأول: جانب عضوي، يتمثل في حركات أعضاء النطق في أثناء عملية الكلام، والثاني: نفسي، يتمثل في الانطباعات النفسية التي تصاحب عملية الكلام، ومن الخطأ أن يقتصر اللغوي في عمله على جانب واحد من هذين الجانبين"[١].

وقد جعل (ابرزيان) علم اللغة النفسي وسيلة مهمة وأداة من أدوات فهم المعنى البنيوي، الذي ينتج عن علاقة علامة بعلامة أخرى، ويشمل المستوي الصرفي والنحوي والدلالي[٢] والاتجاه النفسي نوع من سياق الحال، يساعد على فهم المعاني للفظ الواحد عندما يقع في ظروف وملابسات مختلفة، فقد " اعتمد (فيرث) على تفكير علماء الأنثربولجيا خاصة (مالينوفسكي) الذي طوّر نظريته لسياق الحال، والتي على أساسها ترجع معاني الكلمات إلى وظائفها المختلفة في سياق الحال الخاص الذي يستعمل فيه، وبذلك استطاع (فيرث) أن يبين أن الوصف اللغوي يُحدِّد تبعا للمعنى، أو المعنى هو الوظيفة في سياق، فالسياق هو الذي يوضح المعنى ووظيفته لكل كلمة "[٣].

---

(١) أثر العامل النفسي في تغير دلالات الألفاظ بحث للدكتور/ فرهاد عزيز محيي الدين، نشر في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية عدد (١) مجلد (٨) لسنة ٢٠١٣م.

(٢) ينظر: تاريخ علم اللغة الحديث تأليف: جرهارد هلبش، ترجمة: د /سعيد حسن بحيري ص ١٥٦، ١٥٧، وعلم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة: د/ حسام البهنساوي، ص ٦٢.

(٣) في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث: د/ شرف الدين الراجحي ص ١٣٥، ١٣٦، وينظر: دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني ص ١١٨، ١١٩.

وبعد هذا العرض الموجز لعلم اللغة النفسي، وقضاياه، وموضوعاته، وعلاقة الاتجاهات النفسية للإنسان بلغته بصفة عامة، وبالافتعال – على اعتبار أنه جزء منها – بصفة خاصة، سوف أتناول في المبحث التالي الجانب التطبيقي (افتعل) في القرآن الكريم، وما تؤديه من معانٍ فرعيةٍ تبعًا للاتجاهات النفسية المتنوعة، وأسأل الله التوفيق.

المبحث الثاني
المعاني الفرعية لصيغة افتعل في القرآن الكريم
في ضوء علم اللغة النفسي

أخذ واتخذ:

قال أبو هلال العسكري: " الأخذ مصدر أخذت بيدي، ويستعار، فيقال: أخذه بلسانه إذا تكلم فيه بمكروه، وجاء بمعنى العذاب في قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾[1].. والاتخاذ: أخذ الشيء لأمر يستمر فيه، مثل الدار يتخذها مسكنًا، والدابة يتخذها قعدة، ويكون الاتخاذ: التسمية والحكم، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾[2]، أي سموها بذلك وحكموا لها به" [3] فالنص السابق يبين أن الافتعال الذي تدل عليه كلمة "اتخذ" قد أفاد معاني جديدة لا تدل عليها "أخذ" المجردة.

هذا وقد ورد "الاتخاذ" ومشتقاته في القرآن الكريم في نحو ست وعشرين ومائة موضعًا، وقد تنوعت دلالات هذا اللفظ تبعا للظروف النفسية، والصراعات الداخلية لدى المتكلم، أو السامع أوكليهما، فإذا كان الاتخاذ في معناه العام يدل على أخذ الشيء لأمر يستمر فيه، فهناك معان فرعية أخرى دل عليها هذا اللفظ اقتضتها دوافع ورغبات، وآمال وتطلعات، وقد عد الإمام الفيروزابادي ثلاثة عشر وجها للاتخاذ في القرآن الكريم فقال:" والاتخاذ ورد في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً: الأول: بمعنى الاختيار: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[4]، الثاني: بمعنى

---

(١) هود: من الآية (١١)، (١٢).

(٢) الأنبياء: من الآية (٢٤) .

(٣) معجم الفروق اللغوية ص ٢٩، وينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢٩، ٣٨.

(٤) النساء: من الآية (١٢٥).

الإكرام ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾[١]، أي يكرمهم بالشهادة، الثالث: بمعنى الصياغة ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا ﴾[٢] أي: صاغوه، الرابع: بمعنى سلوك السبيل ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ﴾[٣] أي: سلك، الخامس: بمعنى التسمية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[٤] أي: سموهم، السادس: النسج ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[٥] أي نسجت، السابع: بمعنى العبادة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾[٦] ولهذا نظائر كثيرة، الثامن: بمعنى الجعل ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[٧] أي جعلوها، التاسع: بمعنى البناء ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾[٨] أي بنوا، العاشر: بمعنى الرضا ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾[٩] أي: ارض به، الحادي عشر: بمعنى العصر ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾[١٠] أي تعصرون، الثاني عشر: بمعنى إرخاء الستر ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾[١١] أي: أرخت ستراً، الثالث عشر بمعنى عقد العهد ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾[١٢] أي عقد"[١٣]،

(١) آل عمران: من الآية (١٤٠).
(٢) الأعرف: من الآية (١٤٨).
(٣) الكهف: من الآية (٦١).
(٤) التوبة: من الآية (٣١) .
(٥) العنكبوت: من الآية (٤١).
(٦) الزمر: من الآية (٣)، والشورى: من الآية (٦).
(٧) المجادلة: من الآية (١٦)، والمنافقون: من الآية (٢).
(٨) التوبة: من الآية (١٠٧).
(٩) المزمل: من الآية (٩).
(١٠) النحل: من الآية (٦٧).
(١١) مريم: من الآية (١٧).
(١٢) مريم: من الآية (٨٧).
(١٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ص٤١٦، ٤١٥ .

وهناك معان أخرى للاتخاذ ذكرها العلامة الألوسي، فقال عند تفسير قول الله – سبحانه – ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾[1]: "والاتخاذ صريح في التبني، وظاهر الآية يدل على أن ذلك قول كل المشركين "[2] وقال موضحًا معنى الاتخاذ في هذه الآية في موضع آخر: "الاتخاذ إما بمعنى الصنع والعمل فيتعدى إلى واحد، وإما بمعنى التصيير والمفعول الأول محذوف، أي صير بعض مخلوقاته ولدا"[3]، وقال عند تفسير قول الله – تعالى –: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾[4]: "والاتخاذ: أخذ الشيء على وجه الاختصاص "[5]، وعلى هذا فمعنى الاتخاذ في هذه الآية هو الاختصاص والاستحواذ، وقال أيضًا عند قول الله – ﷻ –: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾[6]:" وقرأ الحسن [إيمانهم] بكسر الهمزة، أي: إيمانهم الذي أظهروه لرسول الله – ﷺ –، وخلص المؤمنين، قال في الإرشاد[7] : فالاتخاذ على هذا معناه: التستر بالفعل، كأنه قيل: تستروا بما أظهروه من الإيمان عن أن تستباح دماؤهم وأموالهم. وعلى قراءة الجمهور عبارة عن إعدادهم لأيمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويخلصوا من المؤاخذة، لا عن استعمالها بالفعل"[8].

---

(١) البقرة: من الآية (١١٦).

(٢) روح المعاني: ١٤٦/٦.

(٣) المرجع السابق: ٣٦٤/١.

(٤) النساء: من الآية (١١٨).

(٥) روح المعاني: ١٤٣/٣.

(٦) ينظر: المحتسب لابن جني: ٣٢٢/٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ٢٦٦/٨، وإتحاف فضلاء البشر للبناء الدمياطي ص ٤٤٠.

(٧) يعني أبا السعود العمادي صاحب التفسير الشهير.

(٨) روح المعاني: ٢٢٧/١٤، ٣٣/٢٨.

إذاً هناك معان للاتخاذ قد أضافها الألوسي لمعاني الفيروزابادي، وهي: التبني، والتستر بالفعل، والصنع والعمل، والإعداد والتهيئة، وأخذ الشيء على وجه الاختصاص، بيد أن العالمين الجليلين لم يذكرا الأحوال والدوافع النفسية التي أدت إلى العدول عن الصيغة المجردة إلى صيغة الافتعال، وإنما اكتفيا بذكر الوجوه المتعددة لما تدل عليه هذه الصيغة.

وفيما يلي سأقوم بالربط بين تلك الوجوه المتعددة، وبين ما أحاط بها من عوامل نفسية واختلاجات ذاتية على النحو التالي:

- الاتخاذ بمعنى الاختيار والاصطفاء في قوله – تعالى –: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾، وتوجيه ذلك أن الله – تعالى – لمّا رأى من إبراهيم – عليه السلام – سعيه واجتهاده في معرفة الحقيقة، والوصول إليها، وبلوغه في ذلك مبلغا جعله يعادي كل الخلق، ويؤثر محبة الله حين قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] كافأه الله باتخاذه خليلا من دون سائر الخلق[2]، فجاء الاتخاذ الدال على الاختيار والاصطفاء قائمًا بهذا المعنى خير قيام، لما فيه من القوة، والديمومة في الأخذ. وقد يأتي الاتخاذ بمعنى الاختيار في الأسوأ ؛ مغالبة للنفس على اختياره، ظناً منها أن ذلك قد يصالحها، أو يدفع عنها قلقها وتحيرها، مع العلم بأن هذا الاختيار لا يشفي نفساً، أو يمنع بأساً فمن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [3]، وقوله – تعالى –: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾[4]، وقوله– تعالى–:﴿ الَّذِينَ

(١) الشعراء: من الآية (٧٧).

(٢) ينظر: التفسير الوجيز للواحدي ص٢٩٢، وتفسير السراج المنير للشربيني: ٤٧٤/٢ .

(٣) البقرة: من الآية (١٦٥).

(٤) النساء: من الآية (١١٩).

يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، ونظائره في القرآن الكريم كثيرة. فالآيات السابقة ونظائرها تعطي تنبيها للنفس على حسن اختيار الحق، والتنفير من اختيار الباطل، حتى وإن ترتب على اختيار الباطل نفع مؤقت، أو خير متوقع، فالتعبير بالافتعال فيه قوة دفع، وصلابة رد على مظنوناتهم، على عكس ما تؤديه الصيغة المجردة.

– الاتخاذ بمعنى الإكرام، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾، فالتعبير بالافتعال هنا فيه دلالة على قوة التدقيق، والإيغال في الإكرام، وفيه تحفيز لتلك النفوس المؤمنة على الصدق في تمني الشهادة في سبيل الله – ﷻ –؛ كي يكرمها الله ويجتبيها.

– الاتخاذ بمعنى الصياغة والصنعة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾، فالإقبال على صنع إله يعبد من دون الله أمر تأباه الأنفس السليمة، والعقول الراجحة، لا سيما إذا رأت بأعينها المعجزات التي تدل على وجود الإله الحق، فكيف لها أن تتخذ إلهًا مصنوعًا لا ينفع ولا يضر؟ !!!، فالذي دفعهم إلى فعل هذا الأمر على الرغم من كلفته المادية هو اتباع الهوى، والحرص على عبادة الشيء الحسي الذي يرونه بأم أعينهم، فبئس هؤلاء القوم وبئس ما صنعوا.

ونظيره قول الله – ﷻ –:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾[3]، فمعنى الاتخاذ هنا الصياغة والصناعة؛ فقد كان آزر هذا نحاتًا،

(١) النساء: من الآية (١٣٩).

(٢) النساء: من الآية (١٤٤).

(٣) الأنعام: من الآية (٧٤).

ومهندسًا للنمرود، وقد حظي عنده [1].

– الاتخاذ بمعنى سلوك السبيل، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾، فالاتخاذ في الآية الكريمة يدل على قوة الاندفاع في المياه؛ لأن الحوت قد فطر على الحياة فيه، فالبحر مكانه، والسباحة من طبائعه. ومن ذلك قوله – تعالى – ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[2]، والمعنى أنهم لا يسلكون سبيل الرشد، وإنما يتبعون أهواءهم في سلوك سبل الغي والضلال، وهذا يدل على اختيار نفسي، ومغالبة قلبية لطبيعة فطرتهم، فكأنهم يدفعون أنفسهم دفعًا لسلوك طريق الهوى، كما يدفعون أنفسهم دفعا للبعد عن طريق الحق، فالمغالبة موجودة في كلا الطريقين، وقد أدى الافتعال دوره بكل قوة واقتدار.

– الاتخاذ بمعنى التسمية، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾، فالعدول عن الأخذ إلى الاتخاذ قد أدى معنى جديدًا لا تؤديه الصيغة المجردة، وكان هذا لدوافع نفسية تتلخص في إرضاء النفس بما يخالف فطرتها، والحرص على تحصيل مصالح دنيوية تعود على صاحبها بالنفع، حتى وإن كان ذلك النفع مؤقتا.

– الاتخاذ بمعنى النسج، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾، فالعدول عن النسج إلى الاتخاذ فيه شدة تخويف لأنفس الكفار الذين اتخذوا من دون الله أولياء ظنا منهم أن ذلك سوف يستمر في دعمهم وتقويتهم، والحق أن اتخاذهم هذا أشبه بحال العنكبوت حين تنسج بيتا وتظن ديمومته على الرغم من

(١) ينظر: تفسير الثعالبي: ١/٤٨٤ .

(٢) الأعراف: من الآية (١٤٦).

ضعفه ووهنه، فالتعبير بالاتخاذ يدل على أنهم في خطر عظيم، الأمر الذي يدفعهم إلى ترك مثل هذا الاتخاذ وينفرهم منه.

– الاتخاذ بمعنى العبادة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾[1]، فهذه الآية ونظائرها تدل على أن هذه النفوس القلقة حريصة على اتخاذ آلهة من دون الله، ظنًا منها أن ذلك سيدفع عنها، ويعزز موقفها، ففنّد الله زعمهم، وزاد نفوسهم خوفًا على خوفها.

– الاتخاذ بمعنى التستر بالفعل، أو الإعداد والتهيئة، أو الجعل، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾، فالاتخاذ هنا يفيد ما لا يفيده الجعل ؛لأن فيه معنى الدوام والاستمرار، فهم حريصون على اتخاذ هذه الأيمان الكاذبة وقاية لهم من العقوبة، فالاتخاذ قد أفاد معنى الملازمة والتلبس بالفعل وذهب الإمام أبو السعود إلى أن الاتخاذ هنا معناه: التستر بالفعل[2]، ونقل عنه ذلك الإمام الألوسي [3]، وقد سبق ذكر ذلك.

ومما يدل على هذا المعنى أيضا قوله – تعالى –: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا ﴾[4]، ففيه تستر بالإنفاق؛ رغبة في تضليل المؤمنين عن معرفة حقيقتهم، وكشف ما يضمرونها في أنفسهم من نفاق وإضرار بالمسلمين. ومنه قوله

(١) مريم: الآية (٨١).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٢٢/٨ .

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٢٧/١٤، ٣٣/٢٨، وتفسير ابن كثير: ٥٢/٨، وتفسير السعدي ص٨٦٤.

(٤) التوبة: من الآية (٩٨).

– تعالى –: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ [١]، وقوله – تعالى –: ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾[٢].

– الاتخاذ بمعنى البناء، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾، فالاتخاذ هنا فيه معنى القوة والحرص على اتخاذ وبناء هذا المسجد من أجل الإضرار والفتنة. ومن ذلك قوله – تعالى–: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾[٣] أي: لنبنينّ عليهم. ومنه قوله – تعالى –: ﴿ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[٤] أي: ابن.

– الاتخاذ بمعنى الرضا، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾، والتعبير بالاتخاذ بدلًا من الرضا فيه تثبيت لنفس النبي – ﷺ – وطمأنة لها، حين يرضى بالله وكيلا، فهو حقيق بذلك، وأهل له، وفيه معنى قصر النفس على هذا الاتخاذ من دون غيره. ومنه قوله – تعالى – ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾[٥]، معناه: ألا ترضوا بغيري وكيلًا.

– الاتخاذ بمعنى العصر، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾، فقد أفاد الاتخاذ هنا معنى التذليل والتسخير، والمن والفضل، حين ذكّر الله نفوس العباد بهذه النعمة العظيمة علّها تعترف بالفضل لخالقها.

– الاتخاذ بمعنى إرخاء الستر، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ فالافتعال هنا يفيد قوة الرغبة في اعتزال الناس، والخلوص إلى

(١) النحل: من الآية (٩٢) .
(٢) النحل: من الآية (٩٤) .
(٣) التوبة: من الآية (١٠٧).
(٤) النحل: من الآية (٦٨).
(٥) الإسراء: من الآية (٢).

العبادة، حتى أصبحت نفسها مجبولة على عبادة الله – ﷻ – مستأنسة بحضرته، مستغنية بذكره عما يشغلها عنه، حتى الطعام والشراب تركته في سبيل الله، فجاءها رزقها رغدًا من دون عناء.

– الاتخاذ بمعنى عقد العهد، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾، ففي الاتخاذ الذي دل على الافتعال قوة في نفي الاتخاذ، فالاتخاذ ليس بحاصل، مما يدفع عن النفس تلك المظنة، فلا عهد بين الله وبين عابدي سواه، ولا شفاعة لهم عنده، مما يزيد من عنائهم وشقائهم. ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾[1]، وقوله – تعالى –: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾[2].

– الاتخاذ بمعنى التبني، ومنه قوله –تعالى–: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾، ونظائره في القرآن كثيرة، وقد سبق بيان هذا المعنى. وتوجيهه: أن الاتخاذ هنا أدق من التبني؛ لأن فيه معنى القوة والتحكم في الأخذ، ويؤيد ذلك قوله– تعالى – ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[3]، فعلى الرغم من إشراكهم إلا أنهم أقروا بأن الله ليس مجبرا على اتخاذ الولد، وإنما هو– سبحانه – في اعتقادهم مختار لذلك عن قوة واقتدار. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا.

– الاتخاذ بمعنى الموالاة والاستخدام سراً، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾[4]، وقوله – تعالى –: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ

(١) مريم: الآية (٧٨).
(٢) البقرة: من الآية (٨٠).
(٣) الزمر: من الآية (٤).
(٤) آل عمران: من الآية (١١٨).

دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾[1] فالنهي عن الاتخاذ هنا فيه إبطال لما قد تتوهمه النفس المؤمنة من النفع الذي قد يعود عليها من اتخاذ الكافرين أولياء، ظنا منها أن ذلك قد يدفع عنها أو يحميها، وهذا ما نهى عنه رب العزة – سبحانه – وقد أدى الافتعال الذي في الاتخاذ هذا المعنى خير أداء وقام به خير قيام.

– الاتخاذ بمعنى الاقتسام والاستخلاص، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾[2] فإبليس في أشد الأزمات، فقد عرف مصيره، وانقضى أمره، فارتعد لما قد ألم به، وأقسم على الله – ﷻ – أن يعطيه السلطان على عباده من أجل إضلالهم وغوايتهم، فأعطاه الله ذلك منقوصا حين استثنى عباده المؤمنين من سيطرة الشيطان عليهم، وقد أدى الاتخاذ هذا المعنى خير أداء لما فيه من الافتعال الدال على التحسر، والصراع النفسي والندم على الفعل، فالشيطان حريص على أن يشاركه في مصيره المحتوم كل البشر، وهذا يدل على شدة تمسكه بالإضلال حتى يحقق غايته.

– الاتخاذ بمعنى السخرية والتسلي، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾[3] فالاتخاذ هنا يدل على ما يكنه المنافقون والكافرون في أنفسهم من شدة الحرص على اتخاذ آيات هزوا من دون تفكر وتدبر، فنفوسهم تأبى الإيمان، وترفض الإسلام، والمعنى: سخروا منها استهزاء وتسلية لنفوسهم بما يخالف فطرتها، ونظائره في القرآن كثيرة.

(١) التوبة: من الآية (١٦).
(٢) النساء: من الآية (١١٨).
(٣) المائدة: من الآية (٥١).

– الاتخاذ بمعنى الزنا سراً، أو الإسرار بالزنا، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾[2]، وقد أفاد الافتعال هنا معنى الملازمة لهذا الأمر والاعتياد عليه حتى يصبح الخدن وهو الصديق السري كالزوج في المعاشرة والإنفاق، وفيه تنفير النفس من الزنا بكل أنواعه [3].

– الاتخاذ بمعنى الإيجاب والفرض، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[4]، فالافتعال هنا يدل على أن موسى والخضر – عليهما السلام – كانا في أشد أنواع الضيق والتعب الأمر الذي دفع موسى – عليه السلام – إلى التماس الأجر من هؤلاء الناس، وهذا ما أدى إلى العدول عن – أخذتَ – أو تقاضيتَ، فالمقام مقام شدة واحتياج، والاتخاذ فيه معنى الإلزام والإيجاب؛ لأنه مقابل عمل، لا منة فيه ولا فضل للمُعطي.

– الاتخاذ بمعنى حسن المعاملة والتلطف، أو الإرجاء والإمهال، ومنه قوله– تعالى – ﴿ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾[5]، فقد ألقى الله في نفس ذي القرنين اختياراً بين أمرين: إما الاستئصال والتعذيب، أو الإمهال والنصح وحسن المعاملة، والتعبير بالافتعال هنا يدل على المبالغة في الإحسان إليهم حتى جُعل كأنه اتخذ فيهم الحسن نفسه، وفي هذه المبالغة تلقين لاختيار أحد الأمرين المخير بينهما [6]، وقد قام الاتخاذ بهذه المعاني خير قيام، فالنفس راغبة في العفو،

---

(١) النساء: من الآية (٢٥).

(٢) المائدة: من الآية (٥).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٦٧/٢، والتحرير والتنوير:٢ /١٥٢، ٢٣١/٤، ١٦/٥، ١٢.

(٤) الكهف: من الآية (٧٧).

(٥) الكهف: من الآية (٨٦).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/١٦، ٢٦.

وحريصة عليه، ومفضلة له على العقوبة والمؤاخذة.

وأخيرًا يمكن القول بأن الاتخاذ ومشتقاته قد جاء في القرآن الكريم لمعان مختلفة، أوجبتها الظروف المتنوعة، والصراعات الداخلية في مكنونات النفس البشرية، والعوامل المحيطة بها مما يدل أن العامل النفسي له دور كبير في تنوع دلالة اللفظ الواحد، تبعا للسياقات المتعددة والأحوال المختلفة، فيُعدل إليه من دون غيره، ويؤدي مالا يؤديه شبيهه المجرد من الافتعال.

- **بغى وابتغى:**

ذهب أكثر اللغويين إلى عدم التفرقة بين البغي والابتغاء، وجعلوا اللفظين بمعنى واحد، وهو الإرادة والطلب [(١)]، بيد أن الفيروزابادي قد فرق بينهما، وجعل الابتغاء دالاً على ما يدل عليه البغي وزيادة، فقال: " البغي: هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتَحرّى، تجاوزه أو لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشيء إذا طلبته أكثر مما يجب، وابتغيت كذلك... وأما الابتغاء فالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء محمود كان الابتغاء محموداً نحو: ﴿ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾[(٢)]. [(٣)]، فالفرق بين البغي والابتغاء واضح في نص الفيروزابادي، حيث إن الابتغاء يتطلب جهدًا فكريًا أو عضليًا زائدًا عن الصيغة المجردة من الافتعال، وقد أخذ هذا المعنى الزائد من فونيم التاء الذي أفاد الافتعال، فضلًا عن الاعتراك النفسي، والصراع

---

(١) ينظر: مقاييس: اللغة لابن فارس: ١/ ٢٧١(ب، غ، ى)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: ٢٧/٦، والمخصص لابن سيده: ١٦/٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٧٦/١، والمصباح المنير للفيومي: ٥٧/١، والقاموس المحيط للفيروزابادي: ١٦٣/١ (ب، غ، ى).

(٢) الإسراء: من الآية (٢٨).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

الداخلي في الدلالة على الطلب، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وإلا كانت الزيادة ضربًا من العبث.

وتجدر الإشارة إلى أن الابتغاء ومشتقاته قد ورد في القرآن الكريم في ثمان وأربعين موضعًا، وقد تنوعت دلالات هذا اللفظ تبعًا للظروف النفسية المحيطة بالنص التي وردت فيه، فإذا كان في معناه العام يدل على الاجتهاد في الطلب، فإن الافتعال قد أكسبه معاني أخر في ضوء ما يحيط به من أمور نفسية، وصراعات داخلية، وها هي معاني الابتغاء الفرعية في القرآن الكريم:

- الابتغاء بمعنى شدة الرغبة، والحرص على الطلب، ومنه قوله - تعالى - ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾[1]، قال ابن عباس - : نزلت في علي بن أبي طالب، حين خرج النبي - ﷺ - مع أبي بكر الصديق إلى الغار، فنام علي - ﷺ - على فراش النبي - ﷺ - [2]، فسياق الآية مليءٌ بالصراعات النفسية، فعندما يبيع الإنسان نفسه - وهي أعز ما يملك - في سبيل أمر يحبه ويعتقده، فإن في ذلك دليلاً على الصدق وشدة الرغبة في إرضاء من يحب، وبهذا يكون قد بلغ درجة من الإيمان لا تعدلها درجة، وقد أدى الابتغاء هذا المعنى خير أداء، وأضاف له قوة وثباتاً، ودفع عن فاعله التردد الذي قد يصيب النفس عندما تقبل على فعل شيء جلل. ونظائره في القرآن كثيرة، منها قوله - تعالى -: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾[3]، وقوله - تعالى: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

(١) البقرة: من الآية (٢٠٧).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: ١٢٦/٢

(٣) البقرة: من الآية (٢٦٥).

ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّـهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]، وقوله – تعالى –: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[2].

– الابتغاء بمعنى المغالاة في طلب الفساد، وقد تحقق هذا المعنى في قول الله– ﷻ –حكاية عن الكافرين، والمجادلين من النصارى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[3]، فقد نزلت هذه الآية في وفد نجران حين قدموا المدينة على النبي – ﷺ – يجادلونه في أمر عيسى – عليه السلام – فألزمهم رسول الله – عليه السلام – الحجة، وبيّن لهم أن عيسى بشر فضّله الله بالنبوة، وأنه تجري عليه سنن البشر من ولادته حتى وفاته، فأبطل ما قصدوه من الإضلال وإحداث الشك في أمر ذلك الرسول الكريم، إذ هم حريصون على ذلك أشد الحرص، وقد أدى الافتعال الذي في الابتغاء هذا المعنى خير أداء، وقوّى المعنى وأظهره للسامع، وكشف عن نوايا هؤلاء القوم، وما يضمرونه في نفوسهم من حقد على الإسلام والمسلمين، حتى إنهم يتبعون المتشابه، ويحملونه على المحكم، وهذا قمة الضلال والإضلال لأتباعهم[4].

– الابتغاء بمعنى التتبع، والسير على الأثر، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾[5] أي: لا تضعفوا في تتبع أعداء الإسلام، وملاحقتهم في أي مكان، من أجل إعلاء كلمة الحق، فالمسلم لا يقاتل الكافرين ساعة مداهمتهم دار الإسلام فحسب، وإنما يجب عليه أن يسير على أثرهم في أي مكان يقيّدون فيه

(١) النساء: من الآية (١١٤).

(٢) الرعد: (٢٢).

(٣) آل عمران: من الآية (٧).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/٢ – ١٣، والكشف والبيان للثعلبي: ٦/٣ – ١٢.

(٥) النساء: من الآية (١٠٤).

حرية الإنسان في الاعتقاد والاختيار، فيرفعون بذلك الظلم والقهر عن البشر، حتى وإن كان في ذلك مشقة عليهم [١]. وقد أدى الابتغاء هذا المعنى بما لا يقوم به لفظ سواه ؛ لأن في الابتغاء مغالبة للنفس، وردعاً لها عن التردد والخوف، وحثا لها على الإقدام والتتبع، وهذا مبتغى الطلب من الافتعال.

– الابتغاء بمعنى الترقب والانتظار، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾[٢]، فالابتغاء هنا معناه: انتظار رزق الله، وقد نزلت فيمن كان يسأل النبي – ﷺ – من المساكين، فأمره الله – تعالى – أن يتلطف معهم إذا لم يكن معه ما يعطيهم إياه، وأن يقول لهم قولا جميلاً جبراً لخواطرهم [٣].. وقد أكد الافتعال الذي يحمله الابتغاء حسن الظن بالله – تعالى –، وشدة تعلق النبي – ﷺ – بربه – جلّ في علاه – فالنفس مطمئنة، والقلب واثق من تحقق رزق الله، أضف إلى ذلك ما يدل عليه الابتغاء من مناجاة ودعاء وترقب وانتظار، ومن هذا أيضاً قوله – تعالى –: ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[٤]، أي: ترقبوا ليلة القدر وانتظروها[٥].

– الابتغاء بمعنى الرجاء والأمل والالتماس، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾[٦]. فالابتغاء هنا معناه: الرجاء والأمل [٧]، فالرسول – ﷺ – وأصحابه الكرام، مع ما يفعلونه من القربات، وأعمال الخير فإن

(١) ينظر تفسير الثعالبي: ٤١٠/١

(٢) الإسراء: الآية (٢٨)

(٣) ينظر: تفسير السعدي ص ٤٥٦.

(٤) البقرة: من الآية (١٨٧).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: ٧٨/٢.

(٦) الفتح: من الآية (٢٩).

(٧) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي: ٣٠٤/٣، وتفسير أبي السعود: ٢٢٨/٨.

نفوسهم تائقة لرضوان الله وفضله، فلم يتسلل إليها غرور أو إعجاب، فهمّهم الأكبر هو نيل الرضوان من الله – تعالى –وفي الابتغاء دلالة على ذلك؛ لأن في الافتعال دلالة على شدة الرجاء، وفيه دلالة على المنافسة والمسارعة في طلب الرضا، فهو غاية عندهم وأمل لديهم، وبهذا تكون صيغة الافتعال مؤدية لهذا المعنى خير أداء، ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾[1]، وقوله – تعالى –: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [2]، وقوله – تعالى –: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [3].

– الابتغاء بمعنى الاجتهاد في تحصيل الرزق والتجارة[4]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾[5]، فالابتغاء هنا معناه الاجتهاد والتنقيب عن مصادر العيش، والبحث عنها، حتى وإن كلف ذلك ركوب البحر على ما فيه من خوف ورهبة وتلاطم أمواج، فالنفوس تسعى إلى ركوبه رغبةً في تحصيل الرزق، وجلبًا للنفع، وقد أدى الابتغاء بما يحمله من الافتعال هذا المعنى، وكشف عما تحويه النفوس من رغبة في تحصيل الرزق، وإن تكبدت المشاق، وركبت الصعاب، ومن ذلك قوله – تعالى–: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[6]، ومن ذلك قوله–

(١) المائدة: من الآية (٢).
(٢) الحشر: من الآية (٨)
(٣) ينظر: التفسير الوجيز للواحدي: ص٦٤١.
(٤) البقرة: من الآية (١٩٨).
(٥) الإسراء: من الآية (٦٦).
(٦) النحل: من الآية (١٤).

تعالى -: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]، ونظائره في القرآن كثيرة.

- الابتغاء بمعنى القصد، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾[2]، فهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق - ﷺ - فقد كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، مقتدياً بالنبي - ﷺ - وقد كان عطاؤه خالصاً لوجه الله - تعالى - لا يطلب ثواباً من غيره، والتعبير بالابتغاء جاء دالاً على ما تحمله نفس أبي بكر المطمئنة، البعيدة كل البعد عن الرياء وحب الظهور، فليس لأحد عنده نعمة ومنة من شأنها أن تجزى وتكافأ إلا التوجه لرضا الله وابتغاء فضله [3]. ومن الابتغاء الذي يدل على هذا المعنى . أيضاً . قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾[4]، وقوله أيضاً: ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾[5].

- الابتغاء بمعنى سلوك الطريق، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[6] أي: من سلك طريقًا سوى ما شرع الله فلن يقبل منه [7]، فطريق الإسلام هو الطريق المستقيم الذي يجب أن يُسلك، أمّا ما عداه من الطرق الأخرى فهي طرق معوجة، لا تصلح للسير، فالماشي فيها يتخبط يمنة ويسرة، ثم لم يلبث أن يرتد على وجهه؛ لأنه لا يصل إلى بغيته، أو يهتدي إلى سبيله، كما هو الحال مع الماشي في طريق الغي والضلالة، فإنه لا يصل حتماً إلى

(١) فاطر: من الآية (١٢).

(٢) الليل: من الآية (٢٠).

(٣) ينظر: روح المعاني: ٣٤٨/١٠، وتفسير السراج المنير: ١٥٣/٣.

(٤) البقرة: من الآية (٢٧٢).

(٥) الحديد: من الآية (٢٧).

(٦) آل عمران: من الآية (٨٥).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٧٠/٢.

الجنة، وقد جاء التعبير بالابتغاء هنا دالاً دلالة وافية على هذا المعنى، فسلوك طريقٍ غير طريق الإسلام باعثه الهوى، واتباع الظن، فهو مخالف لفطرة الإنسان التي فُطر عليها؛ مما يكلفه جهدًا، وحيرة، وتخبطاً، وضلالاً. ومن ذلك المعنى قوله- تعالى-: ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[1]، أي: اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة [2].

- الابتغاء بمعنى التوهم والظن، ومنه - تعالى -: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[3]، فهذه الآية نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ظناً منهم أن ذلك سيجلب لهم عزة ومنعة[4]، وقد جاء التعبير بالابتغاء الدال على الافتعال مرآة صادقة ومعبرة عما يدور في خواطر هؤلاء المنافقين من مكايدة للمؤمنين، حتى إنهم يهرولون، ويلهثون وراء اليهود وأعداء الإسلام ظناً منهم أن الموالاة معهم ستعود عليهم بالنفع والقوة، فأبطل الله ظنهم بقوله: - تعالى -: ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾، فهو- سبحانه - المعز ولا معز سواه.

- الابتغاء بمعنى التقرب، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[5]، أي: تقربوا إليه بطاعته[6]، فالأمر هنا فيه حث على التقرب لله - تعالى - ولزوم طاعته، وقد أفاد الابتغاء ما لا يفيده غيره في اتخاذ جميع السبل

(١) الإسراء: من الآية (١١٠).
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٣٩/٣. والوجيز للواحدي: ص ٦٥١.
(٣) النساء: من الآية (١٣٩).
(٤) ينظر: تفسير الخازن: ٦١١/١، والوجيز للواحدي: ص ٢٩٦.
(٥) المائدة: من الآية (٣٥).
(٦) ينظر الوجيز للواحدي: ص ٣١٨.

التي تقرب العبد إلى ربه، وهذا الأمر فيه ما فيه من الصعوبة على النفس؛ فالجنة محفوفة بالمكاره، فتحتاج للوصول إليها إلى مزيد من المغالبة عن اتباع الهوى، والسير في طريق الضلال، وقد أدى الافتعال هذا التنازع النفسي، والصراع الداخلي خير أداء، وقوّى المعنى المراد في نفس المتلقي ومن ذلك أيضاً قوله- تعالى-: ﴿ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[1]، أي: لعرفوا فضله ومزيته عليهم، فتقربوا إليه [2].

- الابتغاء بمعنى الرغبة والاختيار، ومنه قوله - تعالى: ﴿ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾[3].فهذه الآية نزلت في تخيير الله - ﷻ - لرسوله - ﷺ - أن يؤخر من يشاء من أزواجه، فلا يؤويها إليه ولا يبيت عندها، وأن يضم ويبيت عند من يشاء، ومع ذلك لا يتعين هذا الأمر، فله أن يختار ويرغب فيمن عزله من قبل، وفي هذا توسعة من الله - تعالى - على رسوله ورحمة به [4]. فالنفس البشرية - حتى وإن بلغت أعلى درجات الكمال - قد ترغب وتختار ما عفته من قبل، فرفع الله الحرج عن رسوله - عليه السلام - فأعطاه حرية الاختيار بين من آوى، ومن عزل، وقد أدى الابتغاء الدال على الافتعال هذه الانفعالات النفسية خير أداء، ومن ذلك أيضاً قوله - تعالى -: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [5].

(١) الإسراء: من الآية (٤٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٧٨/٥، وتفسير البيضاوي: ٤٤٨/٣.

(٣) الأحزاب: من الآية (٥١).

(٤) ينظر: تفسير السعدي ص ٦٦٩.

(٥) المؤمنون: من الآية (٧)، والمعارج: من الآية (٣١).

وبناء على ما تقدم يتبين للقارئ ما أحدثه الافتعال في لفظ – بغى – من تنويع للمعنى، فقد ألبسه معاني جديدة، وأكسبه دلالات حديثة، معبرة عن خوالج النفس، وتداعيات الحال.

- **بلى وابتلى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى ﴾**

"الإبلاء والابتلاء: هما بمعنى الامتحان والاختبار" [(١)]. وقال ابن الاثير:" المعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معًا من غير فرق بين فعليهما، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [(٢)]، و"الابتلاء: الاختبار يكون بيمين أو بغيرها " [(٣)]، و الحق أن الابتلاء فيه معنى زائد؛ لأن فيه شدة الاختبار ومحاولة استخراج ما عند المبتلى وتعرف حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة [(٤)]، قال الراغب: " وإذا قيل: ابتلى فلان كذا وبلاه فذلك يتضمن أمرين: أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثاني: ظهور جودته ورداءته، وربما قصد به الأمران وربما قصد به أحدهما، فإذا قيل في الله بلى كذا وابتلاه، فليس المراد منه الا ظهور جودته ورداءته، دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل منه، إذ كان الله علام الغيوب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنّ ﴾ [(٥)]"[(٦)]، وجاء في التاج: " ابتليته (امتحنته واختبرته) هكذا في النُسخ، والصواب: اخترته، ومنه حديث حذيفة أنه أقيمت الصلاة فتدافعوها فتقدم حذيفة فلما

---

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ١١/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٥٥/١.

(٣) اللسان: ٨٣/١٤.

(٤) معجم الفروق اللغوية: ١٣٩/١.

(٥) البقرة: من الآية (١٢٤).

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٦١/١، ٦٢.

سلم من صلاته قال: لتُبْتَلُنّ لها إماما أو لَتُصَلُّنَّ وِحدانا "[1]، قال شمر: أي لتختارن لها إماما..." [2] فالمعنى العام للابتلاء هو الاختبار والامتحان، وقد ورد هذا اللفظ ومشتقاته في القرآن الكريم لمعاني متفرعة عن المعنى العام، تتمثل فيما يلي:

– الابتلاء بمعنى التكليف بالأمر الشاق، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾، أي: كلّفه بأوامره ونواهيه[3]، فقد أدى الابتلاء بما يحمله من الافتعال هذا المعنى خير أداء، فالمُبتلي هو الله – تعالى – وهو العالم بدقائق الأمور، والمُبتلَى هو عبد من عباده الصالحين، اصطفاه للرسالة، واتخذه خليلاً، وقد وقف موقفا شاقا، حين كُلف بأمور يتبين من خلالها مدى قدرته على احتمالها، والوفاء بمتطلباتها، فجاء التعبير بالابتلاء دالا على الحالة النفسية للرسول الكريم من صعوبة ما ألمّ به وتحمّله.

– الابتلاء بمعنى التمييز وتبين الأمر[4]، ومنه قوله– تعالى–: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [5] أي: ليتبين الصابر من الجازع، والمخلص من المنافق[6]، وذلك إخبار عن ترك القتال لما أصابهم من الضعف حينما رأوا أنفسهم محصورين بين رماة المشركين ومقاتليهم، فأصعدوا في الوادي هاربين بأنفسهم، وحصل هذا بعلم الله تعالى وتدبيره، وإنَّما قال: (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ)؛ ليدلّ على أنّ ذلك الصرف

(١) ينظر الحديث في: غريب الحديث للخطابي: ٣٢٩/٢، ٣٣٠، والفائق في غريب الحديث للزمخشري: ٧٣/١.

(٢) تاج العروس: ٢٠٧/٣٧.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٩٤/١.

(٤) ينظر: التفسير الوجيز للواحدي ص ٢٣٧.

(٥) آل عمران: من الآية (١٥٢).

(٦) ينظر: تفسير الخازن: ٤٣٤/١، والبحر المديد: ٣٨٣/١.

بإذن الله وتقديره، كما كان القتل بإذن الله، وأنّ حكمته الابتلاء، ليظهر للرسول وللنَّاس مَن ثبت على الإيمان من غيره، ولأنّ في الابتلاء أسراراً عظيمة في المحاسبة بين العبد وربِّه – سبحانه –[١]، والافتعال هنا يدل على شدة الأمر على المؤمنين في هذا الموقف العصيب، فالابتلاء لا يكون إلا في أمر جلل، ومما يدل على هذا المعنى: قوله – تعالى –: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[٢]، فمعنى الابتلاء في هذه الآية هو الاختبار والتمحيص؛ ليعرف المؤمن من الكافر[٣]، ويمتاز كل فريق، وقوله – تعالى –: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى ﴾[٤]، أي: تبينوا أمرهم من حيث الأهلية وعدمها [٥].

– الابتلاء بمعنى الإظهار لما خفي [٦]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ [٧] والمعنى: أن الله – تعالى – مظهر لأمركم من حيث الطاعة لنبيكم، أو العصيان لما أمركم به، فالله – سبحانه – عالم بهم على كل حال، ولكنه " عاملهم معاملة المختبر" [٨]، وقد أدى الابتلاء معاني نفسية هائلة، فالقوم عطشى، وهم في طريقهم إلى الحرب مع عدو قد علموا قوته وبأسه، فأمرهم الله على لسان نبيه ألا يشربوا من النهر الذي سيجدونه في طريقهم؛ لأن في هذا الاختبار دليل على الثبوت أو عدمه، وفي هذا رياضة لهم،

(١) ينظر التحرير والتنوير: ١٣٠/٤.

(٢) الأحزاب: من الآية (١١).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: ١٩/٨، وتفسير الخازن: ٢٤٣/٥.

(٤) النساء: من الآية (٦).

(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: ٢٥٤/٣، والتفسير الوجيز للواحدي ص ٢٥٢.

(٦) ينظر: تفسير الخازن: ٤٣٧/١، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٥٦٠/١.

(٧) البقرة: من الآية (٢٤٩).

(٨) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ٦٦٩/١، ومفاتيح الغيب: ٥٠٩/٦.

وتدريب على احتمال مكاره الحرب وأهوالها، فلولا الافتعال الذي في الابتلاء ما ظهرت كل هذه المعاني، ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١)، أي: ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق، ويظهر ما فيها من السرائر (٢) فهذه المعاني للابتلاء تم استنباطها من الافتعال الذي يعبر عن الحالة النفسية للمخاطب أو المتكلم وما يحيط بالنص من صراعات وانفعالات.

- **تَبِع واتّبع:**

قال ابن فارس: " التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التُلُوّ والقفو، يقال: تبعت فلاناً إذا تلوته، واتبعته وأتبعته إذا لحقته " (٣). وقال المطرزي: " يقال: تبعته وأتبعته إذا مشيت خلفه، أو مرّ بك فمضيت معه " (٤)، وجاء في التاج: " الإتباع والاتّباع: الأخير على افتعال، كالتّبع، ويقال: أتبعه أي: حذا حذوه.وقال أبو عبيد: اتبعتهم مثل افتعلت إذا مروا بك فمضيت، وتبعتهم تبعاً مثله، ويقال ما زلت أتبعهم حتى أتبعتهم، أي: حتى أدركتهم، وقال الفراء: أتبع أحسن من اتّبع ؛ لأن الاتّباع أن يسير الرجل وأنت تسير وراءه، فإذا قلت: أتبعته فكأنك قفوته.وقال الليث: تبعت فلاناً، وأتبعته، واتّبعته سواء... وقال سيبويه: تتبّعه اتّباعاً ؛ لأن تبعت في معنى اتّبعت " (٥).

---

(١) آل عمران: من الآية (١٥٥).

(٢) ينظر: روح البيان:٢/٩٢، ونظم الدرر:٢/١٧٠، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج الجوزي: ص٥٢.

(٣) ينظر المقاييس: ١/٣٦٢ (ت ب ع).

(٤) المُغرب في ترتيب المعرب: ١/١٠١.

(٥) تاج العروس: ٢٠/٣٨١، ٣٨٠.

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن هؤلاء العلماء قد أدركوا معنى الافتعال في- اتّبع - بيد أنهم لم يفرقوا صراحة بين المجرد والمزيد في هذه الصيغة، فالتبع والإتباع والاتّباع والتتبع كلها تدل على معنى واحد، اللهم إلا أن الفراء قد فرق بين أتبع واتّبع، وفضل أتبع على اتّبع مع وجود الافتعال فيه، وما يؤديه هذا الافتعال من معان زائدة على اللفظ المجرد.

والحق أن الاتباع فيه من زيادة المعنى ما فيه ؛ لأن زيادة المبنى تؤدي زيادة في المعنى، وقد ظهر ذلك جلياً في كتاب الله - تعالى -، حيث تفرعت معاني تلك الصيغة، وخرجت من معناها العام، وهو التلو والقفو إلى معان أخر، دعت إليها الحاجة، واقتضاها الظرف النفسي التي أتت في سياقه. هذا وقد ورد لفظ - اتبع - ومشتقاته في القرآن الكريم ستاً وثلاثين ومائة مرة، بين الماضي والمضارع والأمر والمصدر، وفيما يلي بيان لتلك المعاني:

- الاتباع بمعنى التحول، والانتقال من طريق إلى طريق مغاير[1]، فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2]، فالنص هنا مليء بالصراعات النفسية بين رغبة النبي - ﷺ - في هداية هؤلاء الناس، وبين رفضهم التام لهذه الهداية، فنبه الله - سبحانه - رسوله إلى أن رضاهم عنه مرهون بتحوله الكامل إلى ملتهم، ولهذا جاء لفظ الاتباع الدال على الموافقة التامة، والالتصاق الوثيق، حيث أفاد ما لا يفيده لفظٌ سواه، وهو تأييس النبي من هدايتهم، وتأييسهم من استمالة رسول الله إليهم، فكلا الطرفين يسير في اتجاه معاكس. ونظائره في القرآن كثيرة.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: ٥٦٢/٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ١٣٣/١.
(٢) البقرة: من الآية (١٢١).

– الاتباع بمعنى المسايرة والإدناء والاستمالة، فمن ذلك قوله – تعالى –: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، فالاتباع هنا معناه: الإدناء والقرب، وليس اتباع العقيدة. وفي هذه الآية تحذير للنبي– ﷺ – وأتباعه – على مر العصور – من مداهنة الكفار ؛ لأن هذا قد يؤدي إلى عواقب وخيمة تتعدى مجرد الاستمالة، وتصل إلى مرحلة التبعية الكاملة، وقد أدى الافتعال هذا المعنى خير أداء. وهذا المعنى مطرد في كل آيات النهي عن اتباع الهوى ؛ لأن في اتباع الهوى إضلالاً وتحيرًا للنفس، فالنفس المطمئنة تأبى اتباع الهوى، والنفس الحائرة تركن إليه، وتنجرف نحوه، وفي التعبير بالاتباع تهديد ووعيد شديد للأمة من اتباع طرائق اليهود والنصارى[2].

– الاتباع بمعنى الطاعة والرضا، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾[3]، فالاتباع في هذه الآية يدل على الرضا الكامل الذي لا يشوبه تردد أو تحير ؛ لأن النفوس إذا اعتادت أمرًا، ثم أمرت بخلافه، يصعب عليها ذلك، ومن ثم جاء التعبير بالاتباع الدال على الافتعال؛ مغالبة للنفس على قبول أمر قد تتشكك فيه أو ترفضه، وفي هذا من الابتلاء والاختبار ما فيه. ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾[4] فأنفس الكفار التي واجهت المصير المحتوم، وانقطعت بها السبل، ووجدت ما كانت تنكره قد أصابها الرعب والاضطراب، وأرادت أن تتعهد أمام خالقها الذي أنكرته في الدنيا، ولم تمتثل لأوامره ونواهيه أن يعيدها مرة أخرى، وحينئذ

(١) البقرة: من الآية (١٢١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير:١/٤٠٣.

(٣) البقرة: من الآية (١٤٣).

(٤) إبراهيم: من الآية (٤٤).

ستصلح ما أفسدته، وتقر بما أنكرته، فآثرت لفظ الاتباع الذي فيه معنى الافتعال؛ مبالغة في الطاعة، وحرصًا عليها، مع تألم وحسرة وتأوه وتوجع، كما يقول صاحب الفرصة حين يضيعها: آه آه لو عدت لها لفعلتُ كذا وكذا !!!! فهيهات هيهات، فقد فات الأوان، وتبدلت المواضع والأوطان.

– الاتباع بمعنى العبادة [١]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ العبادة وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾[٢]، فالاتباع هنا دليل على شدة العبادة، والتقرب في الدنيا فالتابعون لغير الله كانوا يظنون أن عبادتهم لغير الله ستنجيهم من عذابه، فحين يجدون منهم خذلانا وبراءة تتقطع أنفسهم حسرة وألما على عبادتهم لهم في الدنيا، ويؤيد هذا المعنى قوله – تعالى – على لسان الملائكة: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مؤْمِنُونَ ﴾[٣]، وقوله – تعالى – على لسان المتبعوين: ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾[٤]، وقوله – تعالى–: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[٥]، وقوله – تعالى –: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا.كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[٦]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على استعمال الاتباع في هذا المعنى [٧]، فالافتعال قد أفاد شدة القرب في

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٧٧/١.
(٢) البقرة: الآية (١٦٦).
(٣) سبأ: الآية (٤١)
(٤) القصص: من الآية (٦٣).
(٥) الأحقاف: الآية (٦).
(٦) مريم: الآيتان (٨٢، ٨١).
(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٧٧/١، وتفسير البيضاوي: ٤٤٣/١.

الدنيا، كما دل على الحسرة والندم حين يتخلى القريب، ويتبرأ الحبيب، وفيه ما فيه من التخبط والقلق، واليأس من النصرة.

– الاتباع بمعنى سلوك الطريق [١]، ومنه قوله – تعالى – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾[٢]، فالنداء هنا نداء تحذير وتخويف، فقد علم المؤمنون بعداوة الشيطان لهم، ولذا كان من الواجب عليهم اجتناب طرقه، واعتزال سبله، مهما أظهر لهم من نصح وإرشاد، لأن سابقة آدم – عليه السلام – لا تزال قائمة في أذهانهم، فجاء التعبير بالاتباع الدال على الملاصقة وسلوك السبيل مؤديا لهذا المعنى ؛ لأن الاتباع سيودي بهم في النهاية إلى طرق الضلال والخسران، وقد ذيلت الآية الكريمة بما يؤكد هذا المعنى فقال – تعالى –: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾، فلا مناص إذا من البعد عنه، واجتناب طرقه.

– الاتباع بمعنى الاستماع والإنصات [٣]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾[٤]، فالأمر بالاتباع هنا يدل على قوة طلب الاستماع والإنصات، حتى يتسنى للرسول – ﷺ – حفظه وفهم معناه، والافتعال فيه تثبيت لنفس النبي، فكأنه قيل له: ما عليك إلا الإنصات والاستماع، ونحن علينا الحفظ والإفهام، فلا تخف من ضياع شيء منه، فهي كالنتيجة للآية السابقة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[٥]، ولولا الافتعال ما فُهم المعنى بهذه الطريقة، وقيل: إن معنى الاتباع في

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: ٢٨٥/٥ (ت ب ع).

(٢) النور: من الآية (٢١).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٧٨/٨.

(٤) القيامة: الآية (١٨).

(٥) القيامة: الآية (١٧).

هذه الآية هو العمل به، وبأحكامه[١]، ويكون الافتعال على هذا المعنى دالا على قوة الدفع للعمل به، والصبر على تحمل أحكامه، وهذا مناسب لقوله – تعالى –: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٢]، فالفؤاد ملتاع، والقلب مشتاق لهذا القول، بيد أنه متخوف من تفلته ونسيانه، فأُمر بالاتباع فحسب، وعدم القلق مما يخافه ويخشاه.

– الاتباع بمعنى السير على المنهج[٣]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[٤]، فالأمر بالاتباع هنا جاء لنفوس مترددة بين الحق، وبين إرث الآباء من الضلال والغي، فالافتعال الذي يدل عليه الاتباع فيه تحريك للنفس على مغالبة الهوى، فهناك اتباع يدافعه اتباع آخر، كما أن في الافتعال حرص على هداية يغالب حرصا على غواية. وقد أدى الاتباع هذه المعاني النفسية خير أداء، ولهذا ذيلت الآية بقوله – تعالى –: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾، ونظائره في القرآن كثيرة، منها قوله – تعالى –: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٥]، وقوله – تعالى –: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾[٦]، فالاتباع في الآيتين معناه: السير على المنهج.

---

(١) ينظر: تفسير الثعالبي: ٣٦٧/٤.

(٢) المزمل: الآية (٥).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٨٠/١.

(٤) البقرة: من الآية (١٧١).

(٥) آل عمران: من الآية (٣١).

(٦) المائدة: من الآية (١٦).

– الاتباع بمعنى قص الأثر، أو المجيء واللحوق[١]، ومنه قوله – تعالى : ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾[٢]، فالمتخلفون عن الجهاد يريدون إثبات ولائهم لرسول الله – ﷺ – وللمؤمنين، تبرئة لأنفسهم من مظنة الهروب من القتال، فأكدوا زعمهم باللام، والافتعال الذي في الاتباع، والمعنى: لكنا حريصين أشد الحرص على اللحوق بكم، والمقاتلة معكم، وقد أدى الاتباع ما قصدوه خير أداء. ومن ذلك قوله– تعالى–: ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾[٣]، وقوله . أيضًا .: ﴿ قال فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ﴾[٤].

– الاتباع بمعنى التمسك والتعلق [٥]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾[٦]، فنفسية الكفار تأبى إلا الإفساد والتحريف، فهي حريصة عليه، متمسكة به، فجاء التعبير بالاتباع دالا على شدة الرغبة في الإضلال، كما أن فيه مجاهدة النفس على ترك المحكم، ؛ لأنه لا نصيب لهم فيه، فهو دامغ لهم، وحجة عليهم، ولهذا قال بعدها: ﴿ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأَوِيلِهِ﴾ أي: إضلالا لأتباعهم، فالنصارى قد احتجوا بأن القرآن قد أقر بأن عيسى هو روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بالآيات الأخرى التي تدل على أنه خلقٌ من مخلوقات الله – تعالى – وعبده ورسوله [٧].

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٧، وتفسير النسفي: ٣٠٩/١.
(٢) آل عمران: من الآية (١٦٧).
(٣) الحجر: من الآية (٦٥).
(٤) الكهف: من الآية (٧٠).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي: ٨/٢، وتفسير السراج المنير: ٢٢٣/١.
(٦) آل عمران: من الآية (٧).
(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٨.

– الاتباع بمعنى الحب والرغبة [١]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[٢]، فالاتباع هنا معناه الحب والميل والرغبة، فإيثار الاتباع على غيره من الألفاظ يؤدي معنى المبالغة في الحب والرغبة، فنفوس أصحاب الشهوات ميالة لها، تسير خلفها حتى وإن قادتها إلى التهلكة، مما جعلها تتمنى لغيرها من المؤمنين أن يسيروا على دربها، ويسلكوا طرقها، فنفوسهم مصلاة في أتون الضلال والإضلال، تلهج وراء الشهوات أينما حلّت، وقد أدى الاتباع هذه المعاني خير أداء. ومن ذلك قوله– تعالى–: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾[٣].

– الاتباع بمعنى المطالبة بتأدية الحق[٤]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾[٥]، فالتعبير بالاتباع قد أكسب صاحب الدم صفة الدائن، واكتسب القاتل أو عاقلته صفة المدين، فكما أن من حق الدائن أن يتبع مدينه، كذلك من حق صاحب الدم أن يتبع القاتل، وفي هذا النص معاني نفسية متمثلة في العداوة الكائنة بين القاتل وأهله من ناحية، وأهل القتيل من ناحية أخرى، فالفريق الأول مضطرب مزعزع، والآخر متردد متحير؛ لإحساسه بالحرج عندما يطالب بالدية تاركًا القصاص، فأمره الله بالاتباع جبرًا لخاطره وتطييبًا لنفسه، فهو صاحب فضل على كل حال، ولذلك توعد الله المعتدين من كلا الطرفين بعد إعطاء الأمان بالعذاب الأليم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٢/٨.

(٢) النساء: من الآية (٢٧).

(٣) مريم: من الآية (٥٩).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٩٦/١، وتفسير الواحدي: ص ١٤٧.

(٥) البقرة: من الآية (١٧٨)

– الاتباع بمعنى الجنف والميل والمحاباة [١]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾[٢] أي: لا تُحابوا الغني لنيل رضاه، ولا الفقير رحمة به [٣]. فالتعبير بالاتباع الدال على الافتعال فيه معنى التأكيد والمبالغة في النهي ؛ لأن النفوس عادة ما تفعل هذا، فأمر الله عباده بالبعد عن المحاباة والميل عن الحق مهما كانت أسبابه. ويدخل في هذا المعنى كل الآيات الواردة في النهي عن اتباع الهوى، وفي هذه الآيات مراعاة للبعد النفسي للمأمورين، ونزعاتهم الذاتية.

– الاتباع بمعنى الترجيح، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[٤] فقد أفاد الاتباع هنا معنى الترجيح، وقد أدى الافتعال دوره في إظهار حرص اليهود والنصارى على إرضاء أنفسهم بما يظنونه، " فمن ادّعى قتله من اليهود، ومن سلّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك، وفي حيرة وضلال، ولهذا قال: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين "[٥]. فالاتباع هنا معناه: ترجيح الظن على اليقين خدمة لهواهم، ومثله قوله– تعالى–: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[٦]، وقوله – تعالى–: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[٧]

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٦٦/٢.
(٢) النساء: من الآية (١٣٥).
(٣) ينظر: تفسير السراج المنير:٣٩١/١.
(٤) النساء: من الآية (١٥٧).
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٤٤٩/٢.
(٦) يونس: من الآية (٣٦).
(٧) النجم: من الآية (٢٨).

– الاتباع بمعنى الالتزام وعدم التعدي، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾[1] أي: "ألتزم بما يوحى إلي وأنتظره، فكل شيء أكرمني به قلته"[2]، فهذا الافتعال دال على شدة تعلق رسول الله بما يوحى إليه، والتزامه بتأديته، وعدم تعديه إلى غيره، وفي هذا تأييس للمشركين من سير النبي على هواهم، أو مداهنته لهم، فالأمر كله من عند الله، فإصرارهم وحرصهم لا يجعله في عجلة من أمره؛ بسبب نزول الآيات التي تزيل شكواهم وأوهامهم[3]. ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾[4]، فالتعبير بالافتعال هنا فيه تكلف وتتميم للتبع الناشئ عن شدة الاهتمام[5]، وقوله – تعالى –: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6]، ونظائره في القرآن كثيرة.

والخلاصة: أن الافتعال في لفظ الاتباع قد أكسبه معاني جديدة، وعبّر عن مكنونات النفس ورغباتها في السياقات القرآنية المتنوعة.

خلف واختلف:

قال ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدُها أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني خِلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر، فالأوّل الخَلَف، والخَلَف: ما جاء بعدُ. ويقولون: هو خَلَفُ صِدْقٍ من أبيه. وخَلَف سَوْءٍ من أبيه. فإذا لم يذكُروا صِدقاً ولا سَوْءاً، قالوا للجيِّد: خَلَف، وللرديِّ: خَلْف، قال الله – تعالى –: ﴿ فَخَلَفَ

(١) الأعراف: من الآية (٢٠٣).
(٢) تفسير السراج المنير: ٣٤٣/١.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٤١/١٣.
(٤) طه: الآية (١٢٧).
(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٥٤/٥.
(٦) النحل: الآية (١٢٣).

مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ [١] والخِلِّيفَى: الخِلافة، وإنَّما سُميِّت خلافةً؛ لأنَّ الثَّاني يَجيءُ بَعد الأوّلِ قائماً مقامَه. وتقول: قعدتُ خِلافَ فُلانٍ، أي: بَعْده " [٢]. قال الراغب الأصفهاني:" والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولمّا كان الاختلاف بين الناس في القول، قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة " [٣].

وقد بين العسكري الفرق بين المختلف والمتضاد بطريقة أكثر تفصيلًا، فقال:"الفرق بين المختلف والمتضاد: أن المختلفين اللذين لا يسد أحدهما مسد الآخر في الصفة التي يقتضيها جنسه مع الوجود كالسواد والحموضة، والمتضادان: هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه، إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك، كالسواد والبياض، فكل متضاد مختلف وليس كل مختلف متضادا، كما أن كل متضاد ممتنع اجتماعه، وليس كل ممتنع اجتماعه متضادًا، وكل مختلف متغاير، وليس كل متغاير مختلفًا، والتضاد والاختلاف قد يكونان في مجاز اللغة سواء، يقال: زيد ضد عمرو إذا كان مخالفا له" [٤].

وهناك فرق بين الاختلاف في المذاهب، والاختلاف في الأجناس، وهو: أن الاختلاف في المذاهب هو ذهاب أحد الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، والاختلاف في الأجناس: امتناع أحد الشيئين من أن يسد مسد الآخر، ويجوز أن

(١) الأعراف: من الآية (١٦٩)، و مريم: من الآية (٥٩).

(٢) المقاييس:٢/٢١١ (خ ل ف).

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١/٣١٨، ٣١٩، وينظر: بصائر ذوي التمييز: ١/٧٣٧، ٧٣٨، والتوقيف على مهمات التعاريف: ١/٣٢٢.

(٤) الفروق اللغوية: ١/٤٨٨.

يقع الاختلاف بين فريقين، وكلاهما مبطل، كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح[١].

مما سبق يتبين أن المعنى الأصلي للاختلاف هو: التغاير، والتنافر، وعدم الاتفاق، وله معان فرعية أخرى اكتسبها من السياق، وساعد على تفرعها الافتعال الذي تحمله.

هذا، وقد ورد لفظ الاختلاف ومشتقاته في القرآن الكريم خمسا وأربعين مرة، ودل على معاني فرعية؛ تبعا للتوجهات النفسية في السياقات المتنوعة، ومن هذه المعاني الفرعية:

- الاختلاف بمعنى ذهاب كل فريق في تحريف المراد مذهبا يخالف مذهب الآخر في أصول الشرع، لا في الفروع، أو بمعنى المجادلة والمنازعة[٢]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[٣]، وقوله – تعالى–: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٤]، وقوله – تعالى–: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ.عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ.الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[٥]، فالاختلاف في مثل هذه الآيات يدل على شدة المنازعة، ويدل على حرص كل فريق على إبطال حجة صاحبه، من حيث المجادلة، والإصرار على المخالفة، ومحاولة إثبات الأحقية فيما يدّعي، وقد قام الاختلاف بأداء هذه المعاني خير قيام؛ لما يحمله من الافتعال الدال على التنازع، والمغالبة، والادعاء. ونظائره في القرآن كثير.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية: ١٢٨/١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان: ٣٣/٧، وتفسير أبي السعود: ٨٥/٩، والتحرير والتنوير: ٣٠٩/٢، ٤٣/٤، ١٨٩/١٢.

(٣) البقرة: من الآية (١٧٦).

(٤) البقرة: من الآية (٥٥).

(٥) النبأ: الآيات (١،٢،٣).

– الاختلاف بمعنى الخِلفة، والتعاقب، والتبادل، والتناوب[١]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾[٢]، وقوله – تعالى –: ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾[٣]، فهذه الآيات واردة في تعداد نعم الله على عباده، فهي نعم عظمى يجهلون قيمتها، ومن ضمن هذه النعم: تعاقب الليل والنهار؛ الذي عبر عنه بلفظ الاختلاف الدال على الافتعال؛ كي تتفاعل النفوس المنكرة، وتعترف بفضل الله عليها، حين عاقب بين الليل والنهار، وبما يحمله هذا التعاقب من نعم عظمى، منها: ابتغاء الرزق، والسكن، ومعرفة السنين والحساب، وهذه النعمة مستمرة، لا تستطيع النفس أن تنكرها، أو تجادل في نفعها، أو تشكك في قيمتها، والتعبير بالاختلاف من دون غيره فيه دلالة على اختلاف الليل والنهار، طولا وقصرا[٤]، ونظائره في القرآن كثير.

– الاختلاف بمعنى التفرق في الاعتقاد، مما يترتب عليه كفر، أوإيمان[٥]، ومنه قوله – تعالى – ﴿ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾[٦]، وقوله – تعالى–: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٧]، فالتعبير عن الكفر بالاختلاف يدل على البون الواسع بين المؤمن والكافر، فكلاهما في طريق بعيد غن صاحبه، فقد اختار الكافر طريقه، حتى إن كان سببًا في هلاكه وضياعه، فضلًا عما يحمله الاختلاف من

(١) ينظر: الكشف والبيان: ٣٢/٢، والكشاف للزمخشري: ٤٧٨/٤، والدر المصون: ١٠٦/٢.
(٢) البقرة: من الآية (١٦٤)، وآل عمران: من الآية (١٩٠)، والجاثية: من الآية (٥).
(٣) المؤمنون: من الآية (٨٠).
(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨٥/٢٦.
(٥) ينظر: الكشف والبيان: ٢٢٥/٢، وبحر العلوم للسمرقندي: ١٢٩/١.
(٦) البقرة: من الآية (٢٥٣).
(٧) يونس: الآية (١٩).

مغالبة النفس على اتباع الشيء الضار، والسير في طريقه. ونظائره في القرآن كثير..

– الاختلاف بمعنى التناقض، والتعارض، والاضطراب[١]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[٢]، فالتعبير بالاختلاف في الدلالة على هذه المعاني أبلغ، وأوقع في النفس، إذ فيه قوة في نفي الاضطراب، والتناقض، مما يبعث في النفس المؤمنة الطمأنينة في صحة ما تعتقده، وتتخذه دينًا. ومن الاختلاف بمعنى الاضطراب قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾[٣]، فالآية واردة في مقام البعث، وموقف الناس منه، ما بين مصدق ومكذب، " أي: إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب، لا يلتئم ولا يجتمع" [٤]. – الاختلاف بمعنى التعدد والتنوع[٥]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٧]، وقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري: ٤٣٨/١، و البحر المديد: ١٠٦/٢، والتحرير والتنوير: ٢٢٣/١.
(٢) النساء: الآية (٨٢).
(٣) الذاريات: الآية (٨).
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٧.
(٥) ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ٤٣١/٢. والتحرير والتنوير: ١١٧/١٤.
(٦) النحل: من الآية (٦٩).
(٧) فاطر: الآيتان (١،٢).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾[1]، فالاختلاف في هذه الآيات قد أفاد المعنى المذكور، ودل عليه دلالة تخاطب النفوس المنكرة، وتذكرها بعظمة خالقها، وقدرته على تنويع المخلوقات، حتى وإن اتحد مصدرها، فمن علم بهذه الحقيقة ازدادت خشيته، وقوي يقينه بخالقه.

- الاختلاف بمعنى الإخلاف للشيء المتفق عليه[2]، ومنه قوله – تعالى-: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾[3]، فالآية واردة في غزوة بدر حين خرج المسلمون يطلبون عير قريش، وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا من غير ميعاد، فعبر عن خلف الميعاد بالاختلاف، لأن الاختلاف فيه معان زائدة ؛ لما يحمله من الافتعال، وهو معبر عن خفايا النفس البشرية التي لا يعلم أسرارها إلا خالقها، فهو – سبحانه – يعلم أن المسلمين إذا علموا بعدة المشركين وعددهم لتخلف عدد كبير منهم عن ملاقاتهم، ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا، بإهلاك المشركين، ونصر المسلمين، فالاختلاف فيه معنى الحرص والإصرار، وفيه إشارة للمسلمين إلى أن النصر من عند الله وحده، فليس لأحد منكم فضل فيه، ولا منة.

مما سبق يتبين للقارئ ما أفاده الاختلاف من معاني متنوعة؛ نظرًا لما يحمله من الافتعال، الذي يكسب اللفظ قدرة على تحمل، واحتمال مالا يتحمله ويحتمله غيره، للتعبير عمّا يجيش في النفس من خواطر وأفكار، وخبايا وأسرار.

ردّ وارتدّ:

جاء التعبير بالرد والارتداد في القرآن الكريم، وكلاهما يدلان على معان متقاربة، وقد يقوم أحدهما مقام الآخر، جاء في التاج: "رَدَّهُ عن وَجْهه يَرُدُّه رَدًّا

(١) الروم: من الآية (٢٢).
(٢) ينظر: الكشف والبيان: ٣٦٢/٤. ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ٣٧/٣.
(٣) الأنفال: من الآية (٤٢).

وَمَرَدًّا، كلاهما من المصادر القياسيّة "[1]، و" رَدَّ عليه الشيءَ، إذا لَمْ يَقْبَلْهُ، وكذلك إذا خَطَأَهُ. والرِّدَّةُ، (بالكسر: الاسمُ مِنَ الارْتِدادِ) وقد ارتَدَّ عنه: تَحوَّلَ، ومنه الرِّدّة عن الإسلامِ، أَي الرجوعُ عنه، وارتَدَّ فُلانٌ عن دِينِه، إِذَا كَفَرَ بعد إِسلامِهِ"[2] ، فكلا اللفظين يدور حول الرجوع والإرجاع، فالرد: إرجاع، والارتداد: رجوع، ولذا يقول صاحب (التاج) نقلًا عن شيخه الفاسي: "ونقل شيخُنا عن جماعةٍ من أَهلِ الاشتقاقِ والتصرِيفِ أَن ردَّ يَتَعَدَّى إِلى المفعولِ الثاني بـ (إِلى)، عند إِرادةِ الإكرام، وبِـ (عَلَى)، للإِهانة، واستدلُّوا بنحو قوله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ ﴾[3] و﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[4] "[5].

كما أن هناك فرقا بينهما أرى أن السبب فيه يرجع إلى الافتعال الذي يتضمنه الارتداد، إذ الارتداد فيه معنى الطلب، ولذا يقال: "ارتَدَّ الشيءَ: رَدَّه، وارتَدَّ عن هِبَتِهِ: ارتَجَعها، ورَدَّ إِليه جَواباً: رَجَعَ، وارتَدَّ الشيءَ: طلَبَ رَدَّه عليه "[6]، كما أن الردة تختص بالكفر، والارتداد أعم منه، يقول الإمام الكفوي: "والردة الرجوع في الطريق الذي جاء منه، وكذا الارتداد لكن الردة تختص بالكفر وهو – أي الارتداد – أعم، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم ﴾ وقال ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيراً ﴾ "[7].

وأرى أن السبب في هذا العموم هو الافتعال أيضا، وجاء في المصباح: " رَدَّهُ إلى منزله، ورَدَّ إليه جوابا رجع، وشيء رَدٌّ أي رديء، و رَدَّدَهُ تَرْدِيدا و تَرْدَادَاً

(١) التاج: ٨٨/٨

(٢) السابق: ٨٩/٨.

(٣) القصص: من الآية (١٣)

(٤) آل عمران: من الآية (١٤٩).

(٥) نفسه: ٨/ ٩٠، ٨٩.

(٦) التاج: ٩٣/٨.

(٧) الكليات للكفوي: ص ٧٥٤.

بفتح التاء ، فَتَرَدَّدَ، والارْتِدَادُ: الرجوع، ومنه المُرْتَدُّ، والرِّدَّةُ بالكسر اسم منه، أي: من الارتداد"[١].

وقد فسّر الطاهر بن عاشور الرد بالارتداد في قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ فقال: "والردّ على الأعقاب: الارتداد "[٢].

والخلاصة: أن هناك فرقا كبيرا، وبونا شاسعا بين الرد والارتداد، بيد أن أحدهما قد يقوم مقام صاحبه، على عادة اللغة في إقامة بعض الألفاظ مقام بعض الآخر، وتجدر الإشارة إلى أن لفظ الارتداد المُحمّل بالافتعال قد ورد في القرآن الكريم في سبع مواضع، وأدى في كثير منها معاني مختلفة عن المعنى الأصلي– الدال على المبالغة في اختيار الرجوع– تبعا للسياق النفسي الذي يحمله النص القرآني، وهاك بيان لتلك المعاني:

– الارتداد بمعنى الانهزام أمام العدو[٣]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[٤]، ففي الآية " تحذير ممّا يوجب الانهزام، لأنّ ارتداد الجيش على الأعقاب من أكبر أسباب الانخذال. والارتداد افتعال من الردّ، يقال: ردّه فارتدّ" [٥]، فالتعبير بالارتداد الدال على الافتعال فيه من الحض على مقاومة النفس من الفرار ما فيه، فالنفس البشرية حريصة كل الحرص على الحياة، متمسكة بالبقاء، ولذا خاطبهم بما يدل على المغالبة، فيجب على الإنسان الذي

(١) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢١/٤.

(٣) ينظر: البحر المديد: ١٦٢/٢.

(٤) المائدة: من الآية (٢١).

(٥) التحرير والتنوير: ٤٧٢/٦.

يؤمن بالله ورسله أن ينزع تلك الرغبة من نفسه حتى لا يكون من الخاسرين.

– الارتداد بمعنى الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان [١]، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢]، شروع في بيان حال المرتدين على الإطلاق بعد أن نهى سبحانه فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى، وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين، وفصّل مصير من يواليهم من المنافقين. قيل: وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها[٣]. والتعبير بالافتعال دليل على أن مفارقة الإسلام أمر عظيم يستوجب التحذير ؛ لأنه يترتب عليه خسارة واستبدال، فلا يُترك لأمر دنيوي مهما علا. ونظير قوله – تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِ دْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ [٥].

– الارتداد بمعنى ثبات الأعين وشخوصها وعدم تحولها [٦]، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [٧] "ومعنى لا يرتد إليهم: لا يرْجع إليهم، أي لا يعود إلى معتاده، أي لا يستطيعون تحويله. فهو كناية

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/٤١٠. و تفسير النسفي: ١/٤١٦.
(٢) المائدة: الآية (٥٤).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥/١٣١.
(٤) البقرة: من الآية (٢١٧).
(٥) محمد: الآية (٢٥).
(٦) ينظر: البحر المديد: ٣/٣٨١.
(٧) إبراهيم: من الآية (٤٣).

عن هول ما شاهدوه بحيث يبقون ناظرين إليه لا تطرف أعينهم "[١]. وهذا " من أساليب القرآن المنفرد بها، والتي أغفل المفسرون اعتبار أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام، بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر ودالة على أنه منزل من لدن العليم بكل شيء والقدير عليه "[٢].

والتعبير بالارتداد الدال على الافتعال فيه دلالة على فداحة الأمر وعظمته، فالنظر ثابت لا يستطيع التحرك، وهذا خارج عن إرادتهم، فكأنهم مسلوبو الإرادة.

– الارتداد بمعنى تغميض العين، وإغلاقها بالرموش، ومنه قوله – تعالى– ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[٣]، والارتداد هنا معبر عن رغبة المتكلم في الإسراع بإحضار ذلك العرش إرضاء لسيدنا سليمان – عليه السلام – حين قال: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾، وقد أدى الافتعال الذي في الارتداد هذا المعنى خير أداء، وكان حقيقًا بالاختيار من دون ألفاظ الرجوع. فهو مثل في السرعة والأسرعية [٤].

– الارتداد بمعنى سرعة العودة والرجوع[٥]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ فَارْتَدَّا

(١) التحرير والتنوير: ١٢٣/١.

(٢) السابق: ٢٤٧/١٣.

(٣) النمل: من الآية (٤٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧١/١٩.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٠/١٢، النكت والعيون: ٢٧٥/١.

عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [١] وقد عبر الافتعال عما يدور في خلد سيدنا موسى – عليه السلام – وفتاه من الرغبة في الإسراع بملاقاة الخضر – عليه السلام – وعن الحالة النفسية التي كانا عليها، فهما في سفر طويل وقد أوشكا على إيجاد ضالتهم، ومنه قوله – تعالى – : ﴿ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [٢]، أي: رجع بصيرا بقدرة الله، وبركة القميص [٣].

تساوى واستوى:

ذهب جمهور اللغويين والمحققين إلى أن سوِىَ، وسوّى، واستوى، وتساوى، قد تأتي بمعنى واحد، قال ابن فارس:"السين والواو والياء أصلٌ يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بين شيئين. يقال هذا لا يساوي كذا، أي لا يعادله. وفلانٌ وفلانٌ على سَوِيّةٍ من هذا الأمر، أي سواءٍ. ومكان سُوىً، أي مَعْلَمٌ قد عَلِمَ القومُ الدّخولَ فيه والخروج منه. ويقال أسْوَى الرّجلُ، إذا كان خَلَفُهُ وولدُهُ سَوِيّاً "[٤] وقال أبو حيان: "اختصم وتخاصم واشترك واستوى وتساوى ونحوها مما اشترك فيه باب الافتعال والتفاعل "[٥]. واستوى . أيضًا ـ يستعمل بمعنى: استقرّ، وبمعنى: علا، وبمعنى: قصد، وبمعنى: ساوى، وبمعنى، تساوى، وقيل: بمعنى: استولى[٦].

وتجدر الإشارة إلى أن الافتعال الذي في الاستواء قد كان له دور في تضمين هذا اللفظ معان أخرى متفرعة عن المعنى الحقيقي، الذي هو: الاستقامة والاعتدال، قال الراغب الأصفهاني:" واستوى يقال على وجهين: أحدهما: يسند إليه فاعلان

---

(١) الكهف: من الآية (٦٤).

(٢) يوسف: من الآية (٩٦).

(٣) البحر المديد: ٣/٣٠٤.

(٤) مقاييس اللغة: ٣/١١٢(سوى).

(٥) تفسير البحر المحيط ٤/١٩٤، وينظر: اللسان: ١٤ /٤٠٨ (سوو).

(٦) ينظر: المرجع السابق: ٤/ ٣١٠.

فصاعدًا، نحو: استوى زيد وعمرو في كذا، أي تساويا، وقال: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾[1]، والثاني: أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾[2]، وقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ ﴾[3] ، ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[4]، ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾[5]، واستوى فلان على عمالته، واستوى أمر فلان، ومتى عُدِّي بـ – على – اقتضى معنى الاستيلاء، كقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[6]، وقيل معناه: استوى له ما في السموات وما في الأرض، أي: استقام الكل على مراده بتسوية الله تعالى إياه، كقوله: ﴿ ثم اسْتَوَى إلى السَّماء فَسَوَّاهُنَّ ﴾[7] وقيل معناه: استوى كل شيء في النسبة إليه، فلا شيء أقرب إليه من شيء، إذ كان– تعالى– ليس كالأجسام الحالة في مكان دون مكان. وإذا عُدِّي بـ – إلى – اقتضى معنى الانتهاء إليه، إما بالذات أو بالتدبير، وعلى الثاني قوله: ﴿ ثم اسْتَوَى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ ﴾[8]، وتسوية الشيء جعله سواء، إما في الرفعة، أو في الضعة "[9] وقال القرطبي:" اسْتَوَى: ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تُعَدّى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ

(١) التوبة: من الآية (١٩).
(٢) النجم: الآية (٦).
(٣) المؤمنون: من الآية (٢٨).
(٤) الزخرف: من الآية (١٣).
(٥) الفتح: من الآية (٢٩).
(٦) طه: الآية (٥).
(٧) البقرة: من الآية (٢٩).
(٨) فصلت: من الآية (١١).
(٩) المفردات في غريب القرآن: ص ٢٥١، وينظر: تفسير روح البيان: ٢٨٧/٩

وَاسْتَوَى ﴾[1]، وتارة تكون بمعنى"علا" و"ارتفع " وذلك إذا عُدِّيت بـ "على"، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[2] ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[3]، وتارة تكون بمعنى " قصد "، كما إذا عديت بـ "إلى " كما في هذه الآية.. يعني قوله – تعالى –: ﴿ ثم اسْتَوَى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ ﴾ أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ فخلقها وأحكمها، وأتقنها،... والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار. قال الجوهري: واستوى من اعوجاج، واستوى على ظهر دابته ؛ أي: استقر، واستوى إلى السماء، أي: قصد، واستوى أي: استولى وظهر، قال:

قَد استوى بشرٌ على العراقِ ∴ من غيرِ سيفٍ ودمٍ مهراقِ[4]

واستوى الرجل أي: انتهى شبابه، واستوى الشيء: إذا اعتدل، وحكى أبوعمربن عبدالبرعن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، قال: علا.[5] مما سبق من أقوال العلماء أستطيع القول بأن الاستواء أعم في مدلوله من التساوي، ومن غيره من الألفاظ الأخرى ذات الأصل الواحد؛ وأرى أن الافتعال هوالذي أكسبه هذا العموم؛ لما فيه من المبالغة والاشتراك، والتدافع.

---

(١) القصص: من الآية (١٤).

(٢) الأعراف: من الآية (٥٤)، ويونس: من الآية (٣)، والرعد: من الآية (٢)، والفرقان: من الآية (٥٩)، والسجدة: من الآية (٤)، والحديد: من الآية (٤).

(٣) الزخرف: من الآية (١٣).

(٤) البيت من الرجز، وقائله مجهول، وهو في اللسان: ٤٠٨/١٤ (سوو)، والتاج: ٣٣١/٣٨ (سوو).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٧ /٢٢٠، وينظر: القاموس المحيط: ١٦٧٣/٢ (سوو)، وتاج العروس ٣٣١/٣٨ (سوو)، والدر المصون: ص ١١٠.

هذا، وقد ورد لفظ الاستواء ومشتقاته في القرآن الكريم خمسا وثلاثين مرة، وقد أدّى هذا اللفظ معاني متنوعة، ذكرها الفيروزابادي في البصائر فقال: " وقد ورد – أي الاستيلاء – فى النَّص على ستَّة أَوجه:الأَوّل: بمعنى القَصْد إلى الشئ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ ﴾ أَى: قصد إلى خَلْقها. الثانى: بمعنى التمكُّن والاستقرار: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾[1] أَى: استقرّت، الثالث: بمعنى الرّكوب، والاستعلاء: ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ ﴾ أَى: ركِبتم واستعليتم، الرّابع: بمعنى الشدّة والقوّة ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾[2]، أَى: قوى واشتدّ، الخامس: بمعنى المعارضة والمقابلة: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ أَى: يقابل هذا ذاك. السّادس: بمعنى القهر والقدرة ﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ أَى: أَقبل على أَمره، واستولى على ملكه، وقدر عليه بالقهر والغلبة، وهو أَعظم المخلوقات، وأَكبر الموجودات. فإذا قهره وقدر عليه، فكيف ما دونه لديه[3]. وهذه المعاني التي ذكرها العلّامة الفيرزابادي قد أدى الافتعال فيها معاني نفسية لا تؤديها الصيغة المجردة منه، ولا أي صيغة أخرى، فقد تنوعت معاني هذه الصيغة تبعا للسياق النفسي المحيط بالنص القرآني، وقد تحمّل الاستواء هذه المعاني؛ نظرًا لما يحمله من الافتعال، الذي يقوي اللفظ، ويجعله قادرًا على تحمل المزيد من المعاني والدلالات، التي تعبر عن خوالج النفس، وتواكب تغيراتها، وانطباعاتها، وفيما يلي بيان لتلك المعاني في القرآن الكريم:

– الاستواء بمعنى القصد إلى الشيء، ومنه قوله– تعالى–: ﴿ ثم اسْتَوَى إلى السَّماء فَسَوَّاهُنَّ ﴾، وقوله – تعالى–: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

(١) هود: من الآية (٤٤).

(٢) القصص: من الآية (١٤).

(٣) بصائر ذوي التمييز: ص ٤٤٤.

دُخَانٌ ﴾، فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الاستواء هنا معناه: القصد[1]، والتعبير بالاستواء الذي فيه معنى الافتعال قد أكد العزم، وعدم التردد، "فمعنى استواء الله تعالى إلى السماء تعلق إرادته التنجيزي بإيجادها تعلقاً يشبه الاستواء في التهيؤ للعمل العظيم المتقن، ووزن استوى (افتعل)؛ لأن السين فيه حرف أصلي وهو افتعال مجازي، وفيه إشارة إلى أنه لما ابتدأ خلق المخلوقات، خلق السماوات ومن فيها، ليكون توطئة لخلق الأرض، ثم خلق الإنسان، وهو الذي سيقت القصة لأجله "[2]، فالاستواء هنا دالٌ على أن كل شيء بقدر محتوم، ولم يأت مصادفة، فالأمرتنظيمي، تحت تصرف، وتقدير العزيز العليم وفيه دفع لأنفس الكفار عن تخيل ما لا يليق بالله – عز وجل –.

– الاستواء بمعنى الاعتلاء والركوب [3]، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾، فالاستواء هنا بما يحمله من الافتعال قد خاطب النفوس المنكرة لنعم الله– عز وجل– والتي منها تسخير الدواب للركوب، والاعتلاء، والاستقرار على ظهورها، مما يترتب على هذا الاستواء من وجوب الاعتراف بالنعم، والشكر عليها، "فإن ذكر النعمة في حال التلبّس بمنافعها أوقع في النفس، وأدعَى للشكر عليها، وأجدر بعدم الذهول عنها، أي: جعل لكم ذلك نعمة لتشعروا بها فتشكروه عليها، فالذكر هنا: هو التذكر بالفكر، لا الذكر باللسان. وهذا تعريض بالمشركين إذ تقلبوا في نعم الله، وشكروا غيره، إذ اتخذوا له شركاء في الإلاهية، وهم لم يشاركوه في الأنعام، وذكْرُ النعمة كناية عن

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٥/١، ٣٤٣/١٥. والكشف والبيان: ١٧٣/١، ٢٨٧/٨، والمحرر الوجيز: ٢٩٧/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٨٥/١.

(٣) ينظر: البحر المديد: ٧،٨/١، وبحر العلوم للسمرقندي: ٣٤٠/٣.

شكرها ؛ لأن شكر المنعِم لازم للإنعام عرفاً، فلا يَصرف عنه إلاّ نسيانُه، فإذا ذكره شكر النعمة. وعطف على ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ قوله: ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾، أي: لتشكروا الله في نفوسكم، وتُعلِنوا الشكر بألسنتكم " [1]، ومما يدل على هذا المعنى قوله – تعالى –: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾، "وإطلاق الاستواء على الاستقرار داخل السفينة مجاز مرسل بعلاقة الإطلاق، وإلا فحقيقة الاستقرار في الفلك أنه دخول، وأُتي بحرف الاستعلاء دون حرف الظرفية ؛ لأنه الذي يتعدى به معنى الاعتلاء؛ إيذاناً بالتمكن من الفلك فهو ترشيح للمجاز " [2]. وفي التعبير بالاستواء طمأنة لنفوس المؤمنين بأنهم ناجون لا محالة.

– الاستواء بمعنى العلوّ والارتفاع [3]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، فالاستواء – هنا – بما يحمله من الافتعال قد دل على تمكن المولى . عز وجل . من التصرف في أمور مخلوقاته، من دون منازع، أو مشارك، فهو في علو وارتفاع يليقان بذاته القدسية، مما يدحض حجج من زعموا أن له شريكا. فهو وحده المدبر للأمر، المنظم للخلق. ونظائره في القرآن كثير.

– الاستواء بمعنى التساوي، أوالمماثلة، ومنه قوله . تعالى .: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [4]، وقوله – تعالى – : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [5]، وقوله – تعالى –: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى

(١) التحرير والتنوير:٢٥/١٧٤ .

(٢) التحرير والتنوير:١٨/٤٧.

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ص ٤٨، و تفسير السراج المنير: ٢/٤٩٥.

(٤) التوبة: من الآية (١٩).

(٥) السجدة من الآية (١٨).

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [1]، ونظائره في القرآن كثير. فقد أدى الاستواء في هذه الآيات ونظائرها معاني نفسية لا تستفاد من غيره، فهي تحمل في طياتها قدرة عجيبة على نفي المماثلة بين المتضادين، حسيًا أو معنويًا، وفي هذا تفنيد لمزاعم الكفار من ادعاء التساوي بين أمور عظيمة، وأخرى أقل شأنا منها، فلا يتساوى الإيمان مع غيره، وإن علا، ولا المؤمن مع الفاسق، كليًا وجزئيًا، ولا ظلمات الكفر مع نور الإسلام، ولا الأعمى مع البصير، ولا من يأمر بالكفرمع من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فلتيأس النفوس التي تصر على اعتقاد ذلك، ولتقر أنفس المؤمنين بميزتهم عند الله – تعالى –.

– الاستواء بمعنى الاستقرار والتمكن، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾، فقد أدى الاستواء هذا المعنى بكل كمال واقتدار، وعبر عن حال السفينة من قبل، حين كانت تتموج بالأمواج، وتتخبط بمن فيها يمنة ويسرة، فالتعبيربالاستواء فيه دلالة على تبدل الأحوال، واستقرار الأوضاع، فقد قضي الأمر، وحل الأمن، واستقرت أنفس العباد باستقرار الجماد.

– الاستواء بمعنى الرجوع إلى الصورة الأصلية، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾[2]،"أي: استقر وهو بأفق الشمس عند مطلعها على صورته التي خلقه الله عليها، فرآه النبي– صلى الله عليه وسلم – وكان بجياد قد سد الأفق إلى المغرب، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم– هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه في صورته التي خلقه الله عليها " [3].

(١) النحل من الآية (٧٦).

(٢) النجم: الآية (٦).

(٣) أيسر التفسير لكلام العلي الكبير، للجزائري: ٨٨/٥، وينظر: البحر المديد: ٣٤٠/٧.

وتجدر الإشارة إلى أن ظهور جبريل على صورته الأصلية، والتعبير عن ذلك بالاستواء الذي يدل على الافتعال، فيه تنبيه للسامع، والمتلقي على عظمة النبي – صلى الله عليه وسلم – من حيث قدرته على رؤية هذا المخلوق العظيم على صورته المهيبة، التي لا يستطيع بشر عادي أن يتحمل رؤيتها، فالاستواء قد بعث في النفس تصور عظمة الخالق، وعظمة مخلوقاته الخفية.

– الاستواء بمعنى النضج، والكمال، والتمام، أو بلوغ الأربعين سنة [(١)]، ومنه قوله– تعالى–: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾، فالاستواء – هنا – معناه: كمال البنية، ومنهم من فسره ببلوغ الأربعين من العمر، وسواء أكان هذا المعنى أوذاك، فإن الاستواء قد أفاد ما لم يفده غيره في مقامه، فموسى – عليه السلام – في أشد العمر، وتمام البنية، مما يجعله قادرًا على تحمل أعباء الرسالة، والقيام بمتطلباتها، لا سيّما وأنه سيواجه أعتى الظالمين، وأشدهم عنادًا وكفرا، فقابل بشدة إيمانه، وتمام خلقته وبنائه، وبلوغه سن النضج، واكتمال العقل، جحود فرعون واستعلائه، مما يطمئن نفس المؤمن، ويثبت فؤاده، بأن هذا النبي العظيم قادرعلى تحمل الأذى حسًا، وإثبات الحجة عقلًا. ومن الاستواء بمعنى النضج والكمال، قوله – تعالى –: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ [(٢)(٣)].

والخلاصة: إن هذا اللفظ قد أدى ما لا يؤديه غيره في مقامه ومكانه، سواء في ذلك الألفاظ التي تشترك معه في جذره، أم الألفاظ التي تختلف، والسبب في ذلك ما يحمله من معنى الافتعال، الذي يكسب اللفظ قدرة على تحمل المعاني والدلالات،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٨/١٣، والكشف والبيان للثعلبي: ٢٣٩/٧.

(٢) الفتح: من الآية (٢٩) .

(٣) ينظر: تفسير البغوي: ٣٢٥/٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: ٣٩٨/٧، وتفسير أبي السعود: ١١٥/٨.

التي تعالج ما يدور في ذهن السامع من معاني نفسية، كالشك، والظن، والتوهم، والتردد، والاضطراب، فتسكن النفس، وتزول وساوسها، وتهدأ مخاوفها.

شرى واشترى:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن "شرى" تدل على البيع والشراء، فهي من الأضداد(١). وقال أبو بكر الأنباري: " قد يحتمل اشتريت المعنيين اللذين يحتملهما شريت" (٢) أي: البيع والشراء.

وقد أنكر الطاهر بن عاشور هذا، قائلاً:" وما ادعاه بعض أهل اللغة أن شرى واشترى مترادفان في معنييهما يغلب على ظني أنه وهم ؛ إذ لا دليل عليه " (٣).

وأرى أن رأي الجمهور أولى بالقبول ؛ لاستناده للواقع اللغوي، فكثير من اللغويين والمفسرين قد فسروا اللفظين بمعنى البيع والشراء، بيد أن [اشترى] فيها من الزيادة في المبنى ما يؤهلها إلى إضافة معانى ودلالات ليست في "شرى"؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، كما قرر علماء اللغة والمحققون. فإذا كان معنى "شرى" هو البيع والشراء، فإن الافتعال الذي تدل عليه "اشترى" يجلعها تؤدي هذا المعنى بقوة ورغبة، فالمعنى العام لهذه الكلمة هو شدة الحرص وقوة الرغبة في امتلاك شيء "ما" أو بيعه، مع تحير في النفس، وتردد في الاختيار.

فلفظ اشترى – إذاً – يدل على معان وملابسات، ومكنونات نفسية لا تقوم بها تلك الصيغة المجردة (شرى)، ولهذا ورد الفعل المزيد بتاء الافتعال في القرآن

---

(١) ينظر: إصلاح المنطق لابن السكيت:ص١٢١، والاشتقاق لابن دريد: ص٥٠٤، وتاج اللغة ٣١٠/٨، والمصباح المنير: ٣١٢/١، وتحرير ألفاظ التنبيه: ص١٤٠، ولسان العرب: ٤٢٧/١٤، وبحر لعلوم للسمرقندي: ١٦٣/١، والبحر المحيط: ٤٧٣/١،

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٠٤/٢.

(٣) التحرير والتنوير:٢٤٣/١٢.

الكريم عشرين مرة، والسر في العدول عن الشراء إلى الاشتراء ومشتقاته هي أمور ودوافع نفسية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحالة التي يكون عليها المشتري من خوف ورغبة، وشك ونفور، و تفاؤل وتشاؤم... إلخ، مما يضيف إضافات جديدة للمعنى الأصلي المقصود من الاشتراء الذي بمعنى الشراء، وهاك بيان لتلك المعاني الفرعية: -

- الاشتراء بمعنى التنازع النفسي، والمغالبة على اشتراء الأدنى والأحقر، وترك الأعلى والأعظم؛ لمصالح شخصية، ومنافع مادية، كالسلطة الزمنية وغيرها، فمن الآيات التي جاء فيها الاشتراء بهذا المعنى قوله – تعالى – واصفاً حال اليهود والمنافقين: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[1]، وقوله – تعالى –: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2]، وقوله – تعالى –: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾[3]، وقوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[4]، وقوله – تعالى – ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[5] وقوله – تعالى –: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[6]، وقوله – تعالى –: ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[7]

(١) البقرة: من الآية (٤١).
(٢) البقرة: الآية (٧٩).
(٣) البقرة: من الآية (٨٦).
(٤) البقرة: من الآية (١٧٤).
(٥) آل عمران: من الآية (٧٧)
(٦) آل عمران: من الآية (١٨٧).
(٧) التوبة: الآية (٩).

وقوله- تعالى-: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّـهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

- الاشتراء بمعنى تطويع النفس على ترك ما فُطرت عليه إرضاء لها بما قد تكرهه وتأباه، مما يؤدي إلى نشوب اعتراك بين النفس، وبين صاحبها، فتصاب بالحيرة والتخبط، فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّـهُ بَغْيًا ﴾(٢)، وقوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّـهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣)، وقوله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (٤)، فمما لا شك فيه أن الله - ﷻ - قد فطر الناس جميعًا على فطرة الإسلام، ولذا كانت ذرات التوحيد والإيمان موجودة في نفس كل إنسان، حتى الكافر، وذلك منذ أن أخذ الله الإقرار من بني آدم، وأشهدهم على أنفسهم بربوبيته، ووحدانيته، فعندما يخير الإنسان بين الكفر والإيمان، وبين الضلالة والهدى، فنفسه تأبى اختيار الكفر والضلالة، فإذا ما جبرها على عكس ما تريد، فإنه يوقعها في تحير وتخبط من أجل إرضاء رغباته ومصالحه، ولهذا جاء التعبير بالاشتراء في هذه الآيات ؛ لما فيه من التفاعل الدال على القلق النفسي والذهني في اختيار أحد الضدين.

- الاشتراء بمعنى الترغيب في البيع، فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾(٥)، فالمشتري هو الله

(١) النحل: الآية (٩٥).
(٢) البقرة: من الآية (٨٧)
(٣) آل عمران: الآية (١٧٧).
(٤) النساء: الآية (٤٤).
(٥) التوبة: من الآية (١١١).

– ﷻ –، والبائع هم المؤمنون، والسلعة هي النفس والمال، والثمن هو الجنة، فهل هناك بيع وشراء وثمن مثل هذا ؟ ! فليس هناك أغلى وأعز على الإنسان من نفسه التي بين جنبيه، ومن ماله الذي تعب في تحصيله وجمعه، فلا يجود بهما إلا ليحصل على ما هو أغلى، فسلعة الله غالية، سلعة الله هي الجنة، ولذا كانت جزاء لمن باع نفسه وماله في سبيل الله – تعالى –.

– الاشتراء تفاؤلاً بالخير الذي يرجى من المبيع، فمن ذلك قوله – تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[1]، فالافتعال هنا يدل على ارتياح النفس، واستبشارها بالخير الذي يرجى من وراء هذا الغلام الطيب المبارك، لما فيه من حسن ورشد.

– الاشتراء بمعنى تعمد اقتناء الشيء الفاسد المرذول؛ رغبة في الإضلال عن طريق الحق، فمن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[2]، فالافتعال هنا يدل على تعمد وقصد في النفس؛ لاستبدال الباطل بالحق، والضار بالنافع.

– الاشتراء بهدف التبرئة من ساحة الظن ؛ تأكيدًا للمعنى، فمن ذلك قوله– تعالى –: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾[3]، فالمقام هنا مقام حيطة وحذر لما فيه من ارتباط بالمال والحقوق، فنفي الاشتراء فيه تأكيد للمراد، ودفع للظن عن الشاهدين، حتى وإن كانا ذا قرابة من

(١) يوسف: من الآية (٢١).
(٢) لقمان: الآية (٦).
(٣) المائدة: من الآية (١٠٦).

أصحاب الوصية، فالافتعال هنا يؤكد المعنى ويقويه، والمعنى: لا نشتري بأيماننا عرضا من الدنيا، ولو كان الميت ذا قرابة منا [١].

مما سبق يتبين لنا ما أفاده الافتعال الذي في الاشتراء ومشتقاته من معان جديدة ما كانت لتستفاد من "شرى" المجردة منه.

- **طلع واطّلع:**

قال ابن فارس:" الطاء واللام والعين: أصل واحد يدل على ظهور وبروز "[٢]. وأصل "اّطلع": اطتلع، على بناء الافتعال، فقلبت التاء طاء، وأُدغمت فيما قبلها [٣]؛ لأن الطاء حرف شديد مستعلٍ مطبق، والتاء حرف مهموس مستفل، فقلب حرفاً من جنس ما قبله؛ حفاظاً على الانسجام الصوتي داخل الكلمة، وذهب جمهور اللغويين إلى أن طلع واطّلع بمعنى، فيقال: " طلع الكوكب والشمس طلوعًا ومطلَعًا ومطلِعًا: ظهر، وطلع على الأمر طلوعًا: علمه، كاطّلعه على افتعله " [٤]، ففعل المجرد عندهم يؤدي معنى افتعل في السياق الواحد، والحق أن "الاطلاع" الذي يدل على الافتعال يؤدي معاني لا تؤديها "طلع" المجردة، لما في اطّلع من زيادة في المبنى تدل بدورها على إيراد معان جديدة تفرعت عن المعنى الأصلي الذي يدل على الظهور والبروز، فضلًا عما تؤديه تلك الصيغة من القوة في الفعل، والجهد المطلوب في تحصيله وبلوغه، وهذا كله مرتبط بالظرف النفسي المحيط بالنص، فإذا كان المعنى العام ل "طلع" هو الظهور والبروز، فإن الافتعال من هذا الفعل يؤدي معناه وزيادة، ولهذا جاء الفعل المزيد بتاء الافتعال في القرآن الكريم في

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٢٨/١.

(٢) المقاييس: ٤١٩/٣.

(٣) ينظر: اللباب فعلل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري: ٣٤٧/٢، والنحو الوافي د/عباس حسن: ٧٩٢/٤.

(٤) ينظر: اللسان: ٢٣٥/٨، والتاج: ٤٤٧/٢١، ٤٤٦.

ثمانية مواضع، أضاف الافتعال فيها معاني جديدة، فالمعنى العام للاطلاع هو بذل الجهد في التعرف على حقائق أمور خفية، ومحاولة إخراجها من الغموض إلى الوضوح والظهور، وهذا الفعل "اطّلع" ومشتقاته يحمل في طياته كثيرا من الملابسات، والصراعات النفسية التي لا يستطيع الفعل المجرد تحملها أو أداءها بالدرجة نفسها، وهاك بيان لتلك المعاني الفرعية من كتاب الله – ﷻ –:

– الاطلاع بمعنى التعرف على حقيقة الأمر تدريجياً، ومنه قوله – تعالى – ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾[1]، فهذه الآية نزلت في إطار غدر اليهود والمشركين برسول الله –ﷺ–، وتربصهم به، وعناية الله –ﷻ– برسوله، حين أطلعه على مكرهم وتربصهم[2]، وجاء الاطلاع الدال على الافتعال مؤديا هذا المعنى خير أداء، فالله – تعالى – يطلعه على حقيقة هؤلاء الكافرين شيئًا فشيئًا، تبعا للمواقف المتعددة الدالة على خيانتهم، فتتبين الحقائق وتنجلي المكائد، فالجو العام – إذن– مليء بالمكائد والتربصات، والاطلاع من رسول الله – ﷺ – يحتاج إلى صبر وتأن، ولهذا جاء التعبير بالفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث، ويؤيد هذا قوله – تعالى –: ﴿ ولا تزال ﴾[3]، فالاطلاع يأتي رويدًا رويدًا، وفي هذا طمأنة لقلب النبي – ﷺ – وتبشير له بالنصر وتمام الأمر.

– الاطلاع بمعنى التدقيق والتحقيق وإدامة النظر، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[4]، فالآيات السابقة واللاحقة تحكي أمرًا خارقًا مستغربًا، فأحياء في صورة الأموات، فالأمر جد مخيف،

(١) المائدة: من الآية (١٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٢٣/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦٦/٣،

(٣) ينظر التحرير والتنوير: ١٤٤/٦.

(٤) الكهف: من الآية (٢٠).

والجو النفسي مشحون بالرعب سماعًا، فما بالك بالمشاهدة العينية ؟ ! فالخوف فيها محقق، وقد جاء التعبير بالاطلاع مناسبًا تمام المناسبة لهذا الجو المرعب، فالاطلاع فيه مدافعة ومغالبة للنفس على المشاهدة والمعاينة، الأمر الذي يستدعي الفرار والرعب من هول الأمر، ومعنى الاطلاع الذي ذكرت مقارب لما ذكره الإمام ابن عجيبة، حيث فسر الاطلاع هنا بالمعاينة والمشاهدة(١)، وقد فسر مرتضى الزبيدي الاطلاع في هذه الآية بمعنى الهجوم (٢)، وهذا التفسير غير مقبول عندي لمناقضته لمقام الآية، إذ كيف يتسنى للإنسان أن يهجم على مجهول محاط بجو من الرعب، وقال الطاهر بن عاشور: "الاطلاع: الإشراف على الشيء، ورؤيته من مكان مرتفع؛ (لأنه) افتعال من طلع إذا ارتقى جبلًا، فصيغة الافتعال للمبالغة في الارتقاء، وضُمّن معنى الإشراف فعُدّي بـ – على – ثم استعمل مجازًا مشهورًا في رؤية الشيء الذي لا يراه أحد" (٣) وأرى أن هذا التفسير للاطلاع مخالف للمقصود من الآية، فرؤية الشيء المرعب المخيف من مكان بعيد غير باعثة على الفرار والرعب، فإن الإنسان المطلّع يكون في مأمن إلى حدٍ ما، فالأمر إن استدعى الرعب والدهشة، فإنه لا يستدعي الهروب والفرار، فالمعاينة عن قرب أدعى لتحقق الأمرين، ويؤيد ذلك تقديم الفرار على الرعب.

– الاطلاع بمعنى العلم وإدراك الأسرار(٤)، والوقوف على الخفايا، ومن ذلك قوله– تعالى –: ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾(٥)، " قال ابن عباس:

(١) ينظر: البحر المديد: ٢١١/٤.

(٢) ينظر: التاج: ٤٤٨/٢١.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٨٢/١٥.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط: ٥٦٣/٢.

(٥) مريم: الآية (٧٨).

أَنَظَرَ في اللوح المحفوظ ؟ وقال مجاهد: أَعَلِمَ علم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا ؟ "[١]، وقد أفاد الافتعال في هذا الفعل معنى زائدا يدل على المبالغة في حصول فعل الطلوع. والتعبير بالافتعال المسبوق بهمزة الاستفهام الدالة على الإنكار والتعجب مناسب للحالة النفسية التي كان عليها ذلك المتكبر، حين ظن أنه قد "بلغ من عظمة الشأن إلى أن يرتقى إلى علم الغيب، الذي استأثر به العليم الخبير " [٢]، فالتعبير بالاطلاع فيه استهزاء به، ونقض لزعمه وحجته، وإبطالاً لقسمه [٣].

– الاطلاع بمعنى الصعود والارتقاء من أسفل إلى أعلى، ومنه – تعالى –: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [٤]، وقد فسر بعض المفسرين الاطلاع هنا بالنظر والوقوف على الشيء [٥]، وذهب الجمهور إلى المعنى الذي ذكرت؛ لأن فرعون قد ظن أنه لو كان هناك إله لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه [٦]، ويؤيد هذا التفسير سياق الآية بداية من بناء الصرح ورغبة فرعون في الصعود عليه فضلًا عن تعدية اطلع بـ "إلى" فالاطلاع إلى الشيء غير الاطلاع عليه، والتعبير بالاطلاع هنا فيه من المبالغة في رغبة ذلك المتجبر، وحرصه الشديد على رؤية هذا الإله الذي ينكر وجوده، مما يدل على شدة

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٦/١١، وينظر: تفسير الطبري: ٢٤٨/١٨، والكشف والبيان للثعلبي: ٢٩٩/٦.

(٢) البحر المديد: لابن عجيبة: ٣٥٨/٤.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٢٧٩/٥.

(٤) القصص: من الآية (٣٨).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: ٢٥٠/٧، والتفسير الوجيز: ص٨١٩.

(٦) تفسير البيضاوي: ٢٩٣/٤.

كفره، وزيادة صده وعناده، ومن ثم كان التعبير بالافتعال أحرى في كشف خبايا نفسه. ونظيره قوله – تعالى –: ﴿ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ (١).

– الاطلاع بمعنى الرغبة في كشف ما خفي، وغاب عن الإدراك (٢)، ومن ذلك قوله– تعالى –: ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾(٣)، فقد جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن أهل الجنة، وما يدور بينهم من مسامرة، وحكايات عما كان في الدنيا من محاولة إضلال أهل الغي والفجور لهم عن طريق تشكيكهم في البعث بعد الموت وما يتبعه من جنة أو نار، فتحدث أحدهم عن قرينه الذي كان ينكر هذه الأمور، فأراد أن يرى منزلته في الدار الآخرة، فقال لأصحابه من أهل الجنة: هل تحبون أن تروا حال هذا القرين ؟ والتعبير بالاطلاع الذي يدل على الافتعال فيه دليل على شدة المبالغة والرغبة في كشف هذا الأمر وإدراك حقيقته وخباياه، وهذا مناسب لحالتهم النفسية التي كانوا عليها.

– الاطلاع بمعنى المشاهدة والمعاينة الحقيقية، وهذا المعنى يؤديه الاطلاع في الآية التالية في قوله – تعالى –: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٤)، أي: شاهد النار هو وأصحابه، فرأى قرينَهُ في وسطها، والتعبير بالافتعال دليل على قوة الكشف والمشاهدة، فكأن الله قد أطلعه على جميع من في النار، وأعطاه القدرة على مشاهدة قرينه ومعاينته، بل والكلام معه، ومعاتبته على ما كان منه، فالاطلاع

(١) غافر: من الآية (٣٦).

(٢) ينظر: تفسير البغوي: ٤١/٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٦١/٥، والتحرير والتنوير: ١١٧/٢٣.

(٣) الصافات: الآية (٥٤).

(٤) الصافات: الآية (٥٥).

الكامل على أهل النار قد شفى قلب المطلع المعاين وعرفه بفضل الله عليه، إذ لو أطاع قرينه لكان معه من المحضرين [١].

– الاطلاع بمعنى بلوغ الأمر، ووصوله إلى نهايته، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ.الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ [٢]، قال الفراء: " الذي يبلغ ألمها الافئدة، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد " [٣]، فمعنى اطلاع النار على أفئدتهم: أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم، وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من فؤاده، ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم، واستولت عليه؟[٤] وفي هذا من التخويف والترهيب ما فيه، ولهذا كان التعبير بالاطلاع الدال على الافتعال أعمق في الذهن، وأدعى إلى ترك الكفار ما هم عليه من زيغ وكفر، حتى لا تأكل النار أفئدتهم. وأجاز ابن عاشور كون الاطلاع بمعنى الإتيان مبالغة في طلع، أي الإتيان بقوة واستيلاء، وأن يكون بمعنى الكشف والمشاهدة، فيفيد أن النار تحرق الافئدة إحراق العالم بما تحتوي عليه من الكفر، فتصيب كل فؤاد بما هو كِفاؤه من شدة الحرق على حسب مبلغ سوء اعتقاده، وذلك بتقدير من الله بين شدة النار، وقابلية المتأثر بها، لا يعلمه إلا مُقدِّره [٥].

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٤٠/٢٦، وتفسير الخازن: ٢٢/٦، والبحر المديد: ٢٦٤/٦.
(٢) الهمزة: الآية (٧).
(٣) معاني القرآن: ٢٣٥/٥، وينظر: الكشف والبيان: ٢٨٧/١٠، واللسان: ٨/ ٢٣٥(ط ل ع)، والتاج: ٤٥٣/٢١ (ط ل ع).
(٤) ينظر: البحر المديد: ٥٣٢/٨.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤١/٣٠.

وفي قول ابن عاشور ما يدل على قدرة "اطلع" التي تحمل معنى الافتعال على تشكيل المعاني داخل النص، والوصول إلى كمائن النفس البشرية ودواخلها، وما يستثيرها من خوف، ورعب وإنذار، ورهبة.

كسب واكتسب:

جاء في المحكم أن "الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع، كَسَبَ يكسِب كسبًا، وتكسَّب واكتسب، قال سيبويه: كسب: أصاب، واكتسب تصرّف واجتهد "(١)، قال ابن جني: " قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(٢) عبر عن الحسنة بـ [كسبت]، وعن السيئة بـ [اكتسبت]؛ لأن معنى كسب دون معنى اكتسب لما فيه من الزيادة، وذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، وذلك لقوله – ﷻ –: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾(٣)، أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها ضعف الواحد إلى العشرة ؟ ولمّا كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعُلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة، فإذا كان فعل السيئة ذاهبا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية عُظّم قدرها وفُخّم لفظ العبارة عنها، فقيل: ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾، فزيد في فعل السيئة، وأُنتقص من لفظ فعل الحسنة " (٤)، وقال أبوهلال العسكري: "الفرق بين الكسب والاكتساب قيل: الأول أخص ؛لأن الكسب له ولغيره، والاكتساب ما يكتسبه لنفسه خاصة. وقيل: في الاكتساب مزيد أعمال وتصرف، لهذا خص بجانب الشر في قوله – تعالى –:

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ١٤٦/٣، وينظر: المخصص: ٤٠٧/٧، واللسان: ٧١٦/١ (ك س ب).

(٢) البقرة: من الآية (٢٨٦).

(٣) الأنعام: من الآية (١٦٠).

(٤) الخصائص: ٢٦٥/٣، وينظر: المخصص: ٣١٢/٤، والتاج: ١٤٤/٤.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ دلالة على أن العبد لا يؤاخذ من السيئات إلا بما عقد الهمة عليه، وربط القلب به، بخلاف الخير، فإنه يثاب عليه كيفما صدر عنه." [١] وقال أبو البقاء الكفوي: "الاكتساب والكسب بمعنى عند أهل اللغة، والقرآن ناطق بذلك، نحو ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٢]، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾[٣]، ومن فرق بينهما قال: الكسب ينقسم إلى كسب لنفسه ولغيره، ولهذا قد تتعدى إلى مفعولين، فيقال: كسبت فلانًا كذا، والاكتساب خاص بنفسه، فكل اكتساب كسب، بدون العكس، وقيل: الاكتساب يستدعي التعمل والمحاولة والمعاناة، فلم يُجعل على العبد إلا ما كان من القبيل الحاصل بسعيه ومعاناته وبعمله، وأمّا الكسب فيحصل بأدنى ملابسة حتى بالهم بالحسنة، ونحو ذلك، فخص الشر بالاكتساب، والخير بأعم منه في قوله – تعالى – ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾"[٤].

والحق أن الفرق بين الكسب والاكتساب واضح؛ لما في الاكتساب من الزيادة في المبنى والزيادة لا تأتي عبثًا، إنما تأتي لإثبات معنى مختلف عن المعنى الذي تؤديه الصيغة المجردة، فالكسب غير الاكتساب كما قرر علماؤنا القدامى. هذا وقد جاء لفظ الاكتساب ومشتقاته في القرآن الكريم في أربعة مواضع، أدت فيها معاني مختلفة، لو أتى المجرد من الافتعال مكانها ما أفاد مفادها، وما أغنى غناءها. وإذا كان المعنى العام للاكتساب هو الجمع، والتصرف، والطلب،

(١) معجم الفروق اللغوية: ١/ ٤٥٣.

(٢) المدثر: الآية (٣٨).

(٣) الأنعام: من الآية (١٦٤).

(٤) الكليات: ص ٢٢٩، وينظر: تفسير الفخر الرازي: ١١٥/٧، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي: ٥٣٤/٤.

والاجتهاد [١]، فإنه قد جاء لمعانٍ أُخرى متفرعة عن المعنى العام الذي يدل عليه ؛ تبعا للملابسات النفسية، والتداعيات والأحداث المختلفة، فمن ذلك:

– الاكتساب بمعنى بذل الجهد لتحصيل أمر "ما" حتى وإن كان ذلك الشيء مذموما، نحو قوله – تعالى –: ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾، فالاكتساب هنا خاص بالشر، لأن الاكتساب فيه احتمال، والشر تشتهيه النفس، وتنجذب إليه، فكانت أجد في تحصيله وأعمل [٢]، وهذا ما أفاده الافتعال الذي يدل علي الصراع النفسي الكائن بين تحصيل ما يُظن فيه الخير حالاً، ولا يظن مآلا.

– الاكتساب بمعنى الإصابة والإحراز، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾[٣]، على تفسير ابن عباس من أن المقصود من الآية: للرجال نصيب مما اكتسبوا من الميراث، وللنساء نصيب منه، أي للذكر مثل حظ الأنثيين [٤]، وعبر بالاكتساب هنا بدلا من الكسب على الرغم من عدم الاجتهاد في تحصيل ذلك ؛ دفعًا للنفس عن تمني ما حصل عليه الآخر، وتحذيرًا لها من دواعي الحسد، وهذا ما أفاده الافتعال؛ لأن تمني ما عند الغير فيه تحريك للنفس على اكتساب المعصية، وعدم الرضا بما قدره الله وحدده. وقيل المراد بالاكتساب في الآية: ما اختص به الرجل والمرأة من تكاليف ومهام، وكلاهما فيه مشقة، فالرجل ملزم بالنفقة على زوجه، والمرأة ملزمة بحفظ فرجها وطاعة زوجها، وقيامها بمصالح البيت من طبخ وخبز وغير ذلك [٥].

---

(١) ينظر: المخصص: ٣١٢/٤.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٥٨٦/١.

(٣) النساء: من الآية (٢٣).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي: ٣٠٠/٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٤/٥.

(٥) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٦٤/١٠.

– الاكتساب بمعنى الإشاعة والإسماع، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾[1]، فالتعبير بالاكتساب هنا دليل على أن نفس المتربص بالمؤمنين والمؤمنات حريصة كل الحرص على تعكير الصفو، ونشر الفحش بينهم، وهذا ما أفاده الافتعال، فالتحرك والذهاب هنا وهناك فيه مشقة على النفس، خاصة إذا ما تم هذا في خفاء وكتمان، فلكل واحد منهم من العقوبة ما أشاع ونشر في ذلك الأمر[2].

– الاكتساب بمعنى التعمد وقصد الفعل، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[3]، أي: بغير ما عملوا[4]، وقد أفاد الافتعال هنا معنى القصد والتعمد، أي: بغير شيء واقعوه متعمدين له[5] وفيه تنبيه للنفوس المريضة على عدم إيذاء من وقع في الخطأ عفوا من دون قصد.

نصر وانتصر:

النصر: عون المظلوم، وانتصر: انتقم من ظالمه [6]، و"انتصر الرجل: إذا امتنع من ظالمه"[7] "ويكون الانتصار من الظالم: الانتصاف والانتقام منه، قال الله مخبرا عن نوح ودعائه إياه بأن ينصره على قومه" فانتصر" ففتحنا، فكأنه قال لربه: انتقم منهم، كما قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ

(١) النور: من الآية (٣٢).
(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٠٢/٢.
(٣) الأحزاب: من الآية (٥٨).
(٤) ينظر: الكشف والبيان: ٨/ ٦٣، وتفسير الجلالين: ص٥٥٩.
(٥) ينظر: تفسير السراج المنير للشربيني: ٢٢٩/٣.
(٦) ينظر: كتاب العين للخليل: ١٠٨/٧ (ص ر ن).
(٧) لسان العرب: ٢١٠/٥ (ن ص ر).

دَيَّـارًا ﴾[1] " [2]، وجـاءت نصـر وانتصـر بمعنـى، فيقـال: نصـره، وانتصـر لـه مـن ظُلمه[3]. وقال ابن فارس: "النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصرًا، وانتصر: انتقم، وهو منه – أي من الإيتاء بمعنى الإعطاء–، وأما الإتيان، فالعرب تقول: نصرت بلد كذا إذا أتيته، قال الشاعر:

إذا دَخَلَ الشهرُ الحرامُ فودِّعي ∴ بلادَ تميمٍ وانصري أرضَ عامرٍ[4]" [5]

وبناء على ما سبق يتبين أن بين نصر وانتصر اختلافًا كبيرًا في المعنى أدى إليه الافتعال الذي لحق الصيغة المجردة، فقد أضاف إليها معنى لم يكن موجودا من دونها، وهو الانتقام، أما نصر المجردة فلا تُفيد هذا المعنى، وإنما يدور معناها حول إيتاء الظفر وغيره، وبمعنى الإعطاء، فالنصر: عون المظلوم، والانتصار: الانتقام من الظالم. هذا وقد أضاف الانتصار معاني متفرعة من المعنى العام؛ لما تؤديه صيغة الافتعال من معان خاصة كالطلب، والمطاوعة... إلخ، فإذا كان الانتصار في معناه العام يدل على الانتقام، وطلب النصرة، فإن له معان تفرعت منه، تبعا للظرف النفسي المحيط بالنص، من حال المتكلم والسامع والمشاركين، وقد جاءت هذه المعاني الفرعية في كتاب الله – ﷻ –، فقد ورد الانتصار ومشتقاته في القرآن الكريم في أحد عشر موضعًا، وتنوعت معانيه على النحو التالي:

---

(١) نوح: الآية (٢٦)

(٢) تاج العروس: ١٤/٢٣٠(ن ص ر).

(٣) ينظر: اللسان: ٧/٤٤(ح ف ظ).

(٤) البيت من الطويل، وهو لراع مجهول كما في: المحكم والمحيط الأعظم: ٨/٢٠٠، واللسان: ٢١٠ (ن ص ر)، والشاهد في هذا البيت هو ورود لفظ (نصر) بمعنى: أتي.

(٥) مقاييس اللغة: ٥/٤٣٥ (ص ر ن).

– الانتصار بمعنى القدرة على الدفع عن النفس، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴾[١]، والمعنى: هل يدفعون عن أنفسهم شيئًا مما علق بهم[٢]، فالتعبير بالافتعال فيه مبالغة في عدم قدرة هذه المعبودات على الدفع عن نفسها، وفيه توبيخ لهؤلاء المشركين الذين كانوا يعتقدون النصر والحماية من أولئك الشركاء، الأمر الذي يشعرهم باليأس من النجاة، والندم على ما فات، فلا نصر يرجى منهم، ولا انتصار حتى لأنفسهم، وفي هذا من انقطاع الأمل ما فيه.

– الانتصار بمعنى رد الاعتداء اللفظي (النقائض اللفظية) عن طريق الشعر، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾[٣]، حيث وردت هذه الآية في الشعراء الذين أسلموا، وقالوا الشعر في هجاء المشركين، وانتصروا للرسول – ﷺ –[٤]، فالتعبير بالافتعال فيه من القوة على دفع الظلم ما فيه، فالشعراء المسلمون حريصون على الدفع عن الإسلام، والنبي – ﷺ –، فاقترن هذا الأمر بهم، وأصبح جزءًا من عبادتهم التي توصلهم إلى رضا الله – تعالى – ومخالفة أقرانهم من شعراء الضلال، فانتصارهم انتصار حق وصدق، حيث قال لهم الرسول – ﷺ –: " انتصروا ولا تقولوا إلا حقًا، ولا تذكروا الآباء ولا الأمهات "[٥].

– الانتصار بمعنى الامتناع من العذاب، ومنه قوله – تعالى–: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾[٦]، فمعنى الانتصار

(١) الشعراء: من الآية (٩٣).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ١٥٠/٦، والبحر المديد: ١٧٢/٥.
(٣) الشعراء: من الآية (٢٢٧).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١١/١٩.
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣١٨/١٣.
(٦) القصص: من الآية (٨١).

هنا: "الامتناع مما نزل به من الخسف"[١]، فالانتصار قد أفاد هذا المعنى لما فيه من الافتعال، إذ لا يفيده المجرد منه، والتعبير بالافتعال فيه دلالة على شدة حرص المحاط به، أو المعُذّب على النجاة بأي وسيلة، والاستعانة بأي مغيث، فنفي هذا الأمر عنه يوحي بعظمة هذا الحال وشدته؛ ترهيبا لمن يقدمون الدنيا على الآخرة، ويفضلون العاجل الزائل على الآجل الدائم. ومنه قوله- تعالى-: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾[٢]، فالانتصار هنا معناه الامتناع [٣]، وقوله - تعالى -: ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ [٤]، فالانتصار معناه الامتناع أيضا[٥]، ومنه قوله تعالي-: ﴿ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾[٦].

- الانتصار بمعنى القدرة على أخذ الحق [٧]، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [٨]، فالانتصار هنا معناه: الانتقام والقدرة على أخذ الحق من المعتدي والباغي، قال ابن عباس: " وذلك أن المشركين بغوا على رسول الله - ﷺ - وعلى أصحابه وآذوهم وأخرجوهم من مكة، فأذن الله لهم في الخروج، ومكن لهم في الأرض، ونصرهم على من بغى عليهم... وقيل: هو عامٌ في بغي كل باغ من كافر وغيره، أي: إذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا

(١) ينظر: تفسير الخازن: ١٨٥/٥.
(٢) الرحمن: الآية (٣٥).
(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٦٧/٢٩.
(٤) الذاريات: الآية (٤٥).
(٥) ينظر: البحر المديد: ٢١٢/٧.
(٦) الكهف: من الآية (٤٣).
(٧) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: ٣٢٣/٨، والبحر المديد: ٢٦٢/٧، واللسان: ٢١٠/٥.
(٨) الشورى: الآية (٣٩).

لظلمه "[1]، فالافتعال قد جعل النصر سجية عند هؤلاء القوم، فهو ديدنهم عند وقوع البغي عليهم، ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾[2]، وقوله–تعالى–: ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾[3]، وقوله – تعالى –: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾[4].

– الانتصار بمعنى الفوز، و الظفر، والغلبة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴾[5]، فهذه الآية نزلت في كفار قريش عندما ظنوا أن جمعهم واجتماعهم على قتال المسلمين مدعاة للنصر وسبب من أسبابه، وآثروا الافتعال في[نصر]؛ تأكيدا على ما ظنوه، وحضًا لجيشهم على الثبات، وبعثا للثقة في أنفسهم، فأبطل الله دعواهم بقوله– تعالى –: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [6].

مما سبق يتبين ما إفادة الافتعال من معان لتلك الصيغة، مما أثرى اللغة بالمعاني المتعددة للفظ الواحد، وأدى إلى توافق بين الصيغة والمعاني النفسية التي تدل عليها.

- **نقم وانتقم**

في أسماء الله – تعالى – المنتقم، وهو المبالغ في العقوبة لمن يشاء، وهو مفتعل من نقم ينقِم إذا بلغت به الكراهة حد السخط "[7]. فالانتقام فيه معنى

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٩/١٦، ٣٨.

(٢) الشورى: الآية (٤١).

(٣) محمد: من الآية (٤).

(٤) القمر: الآية (٤).

(٥) القمر: الآية (٤٤).

(٦) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٢٣/٢٩، والبحر المديد: ٢٦٢/٧.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٣١/٥، واللسان:٥٩٠/١٢(ن ق م).

المبالغة والشدة؛ لما فيه من الافتعال، فزيادة المبنى أدت إلى زيادة المعنى، فالانتقام هو زيادة العقوبة والأخذ.

وإذا كان المعنى العام للانتقام يدور حول إنكار الشيء وعيبه [١]، فإن له معانيَ فرعية جاءت في كتاب الله – ﷻ – فقد ورد هذا اللفظ ومشتقاته في القرآن الكريم خمس عشرة مرة، وتنوعت دلالته تبعا للظروف والملابسات النفسية على النحو التالي:

– الانتقام بمعنى العقوبة الشديدة وقوة البطش [٢]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾[٣]، وقوله – تعالى –: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾[٤]، فهذه الآيات ونظائرها فيها تهديد ووعيد شديدين لأنفس الكفار والمجرمين والمعاندين، فهذه الأنفس دأبت على المعصية، وركنت إلى الهوى، فجاء التعبير بالافتعال بما فيه من المبالغة زاجراً للأنفس السائرة على منهاج الأولين، ومنبها لها؛ كي تفوق من غفلتها ولا تصاب بمثل ما أصيبوا به من عقوبة وبطش.

– الانتقام بمعنى إلزام الكفارة[٥]، ومنه قوله–تعالى–: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾[٦]، فهذه الآية جاءت في سياق قتل الصيد حال الإحرام، وما فيه من التعدي على أمن المكان الذي كرمه الله – تعالى –، فنفس المؤمن متحيرة بين

(١) ينظر: المقاييس: ٤٦٤/٥(ن ق م)

(٢) ينظر: التفسير الوجيز للواحدي: ص ١٩٨.

(٣) آل عمران: الآية (٤).

(٤) الروم: من الآية (٤٧).

(٥) ينظر: تفسير الثعالبي:٤٨٩/١.

(٦) المائدة: من الآية (٩٥).

الالتزام بأمر الله – ﷻ – وبين الأكل لسد الرمق وحقن الجوع؛ لما في الحج من تعب ومعاناة ومشقة، فجاء التعبير بالانتقام الدال على الافتعال ردعا لهذه الأنفس المتحيرة، فشتان ما بين الجوع، وبين الكفارة المترتبة على المخالفة لأمر الله، كما أن هذه الصيغة مناسبة لمقام التهديد والوعيد، ولهذا ختمت الآية بقوله – تعالى-: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾.

– الانتقام بمعنى سلب النعمة بالعذاب، والاستئصال في الدنيا[١]، ومنه قوله-تعالى-: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾[٢]، وقوله – تعالى -: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [٣]، وقوله – تعالى -: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [٤] وقوله – تعالى -: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٥]، فهذه الآيات تدل على اليأس من هدايتهم، فهي نفوس راكنة لأهل الظلم، لا تنفك عن طاعتهم ومعاونتهم مهما رأت من آيات، فاستحقت بذلك سلب النعمة بالعذاب، والإهلاك والاستئصال، ولهذا جاء التعبير بالانتقام الذي ناسب عنادهم وإصرارهم.

– الانتقام بمعنى القدرة على الفعل [٦]، ومنه قوله – تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [٧]، فالآية واردة في سياق الحديث عن الظالمين، أصحاب المكر الشديد، فجاء التعبير بالانتقام دفعًا لنفوسهم عن توهم النجاة من عذاب الله مهما

(١) ينظر: التفسير الوجيز للواحدي: ص ٤١٠.
(٢) الأعراف: من الآية: (١٣٦).
(٣) الحجر: الآية (٧٩).
(٤) الزخرف: الآية (٢٥).
(٥) الزخرف: الآية (٥٥).
(٦) ينظر: فتح القدير: ١٤٣/٣.
(٧) إبراهيم: من الآية (٤٧).

بلغوا من القوة والمكر، فهم مُهلكون لا محالة، إذ إنهم واقعون تحت سلطان من يقدر على ذلك.

– الانتقام بمعنى المكافأة على الشيء بمثله، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾[1] فالانتقام هنا مشتق من النقم، وهو الغضب، كأنه مطاوعه ؛لأنه مسبب عن النقم[2]، فجاء التعبير به مكافأة على الشر بشر مثله، إن ربك لبالمرصاد، وفيه تحذير لهم عن طريق الاستفهام التقريري، فالتعبير بالانتقام الدال على الافتعال فيه تقرير لنفوسهم المريضة – المعتمدة على غير مولاها الحق، المعتقدة بأن آلهتها المزعومة قادرة على تخويف أنبياء الله تعالى وأوليائه – بأن الله هو القادر على الإضلال والهداية على حسب اختيار النفس، فمن اختار الهدى كافأه به، ومن اختار الضلال كافأه به.

هدى واهتدى:

الاهتداء: افتعال من هدى، و"والاهتداء مقابل الإضلال، كما أن الهدى مقابل للضلال"[3]، وذهب بعض العلماء إلى أن هدى واهتدى بمعنى واحد، وذهب الفراء إلى أن "هدى" إذا جاء بمعنى "اهتدى" يكون لازما [4]. وقد فرق الراغب الأصفهاني بين اللفظين، حيث جعل الهدى خاصًا بما تولاه الله وأعطاه وهو خاص بالمولى – ﷻ – دون ما هو للإنسان، نحو قوله – تعالى –: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾[5]، وغيرها من الآيات التي تدل على أن الهدى من عند الله وحده، أما

(١) الزمر: من الآية (٣٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٢٤.

(٣) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي: ص ٣٠٦، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣٧٠/٤ (هـ د ى).

(٤) ينظر: اللسان: ٣٥٣/١٥، والتاج: ٢٨٥/٤٠، ٢٨٤ (هـ د ى).

(٥) البقرة: من الآية (١٢٠)، والأنعام: من الآية (٧١).

الاهتداء فيختص بما يتحراه الإنسان عن طريق الاختيار في الأمور الدنيوية أو الأخروية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[2] [3]، كما ذكر – ﷺ – معاني متعددة للاهتداء منها: الاهتداء بمعنى طلب الهداية، والاقتداء بعالم، وإدامة الطلب، وعدم الفتور عنها، وتحريها [4]. والحق أن الاهتداء يحمل في طياته معانى زائدةً عن الفعل المجرد، يتمثل في شدة الرغبة في الهداية، كما أن الافتعال يجعله قابلا لحمل كثير من التفريعات الدلالية التي تحملها وتتحملها تلك المعاني، والرغبات النفسية داخل الوجدان الإنساني.

وتجدر الإشارة إلى أن الاهتداء ومشتقاته قد ورد في كتاب الله – ﷻ – أكثر من خمسين مرة، وأدى في كثير من المواضع معاني متعددة ؛ لما يحمله من الافتعال الذي يعد بمثابة مفتاح لخزائن المعاني، فإذا كان الاهتداء في معناه العام يدل على التحري والاختيار فيما يرى فيه الإنسان الخير في الدنيا والآخرة، فإنه قد دل في كتاب الله – تعالى – على معانٍ فرعية أخرى على النحو التالي:

– الاهتداء بمعنى إصابة الحق والسير على المنهج الصحيح[5]، ومنه قوله– تعالى–: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾[6]، وقوله – تعالى –:

(١) الأنعام: من الآية (٩٧).

(٢) النساء: الآية (٩٨).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص ٥٤١، والبحر المحيط لأبي حيان: ٤٧٦/٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٥) ينظر: تفسير النسفي: ١٥٢/١، وروح البيان: ١٩٤/١.

(٦) البقرة: من الآية (١٣٧).

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾[١]، فمعنى الاهتداء في الآيتين: إصابة الحق، وسلوك محجة الرشد[٢]، والتعبير بالاهتداء هنا فيه دلالة على شدة التفنيد لتوهمهم السابق بأنهم كانوا على هدى، والحق على خلاف ما زعموا من قولهم: كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، فالهداية الحقيقية هي الإسلام، والإيمان بما جاء به الرسول – ﷺ –. وما عداه باطل[٣]، كما أن التعبير بالافتعال فيه دليل على مغالبة اليهود والنصارى على ترك معتقداتهم التي نشأوا عليها، و دخول " قد" على الافتعال فيه دليل على المبالغة في تحقق وقوع الفعل وتحصله[٤]، ونظائره في القرآن كثيرة.

– الاهتداء بمعنى الاقتداء والاتباع [٥]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[٦]، فمعنى الاهتداء هنا: هو الاقتداء والاتباع، والتعبير بالافتعال فيه دليل على شدة العناد والمكابرة، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [٧]، ونظائره في القرآن كثيرة.

– الاهتداء بمعنى الرغبة والطلب، ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ [٨] فالتعبير بالاهتداء هنا دليل وباعث على التخلص من الأهواء النفسية، ودافع إلى تحري النفس سبل الهداية، فإذا فعلت هذا فقد اهتدت،

---

(١) آل عمران: من الآية (٢٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨١/٦، وتفسير ابن كثير: ٤٥٠/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٤٠/١.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي: ١١٢/٥، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤١٩/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٧٢٨/١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٢/ ١٠٩، والنكت والعيون للماوردي: ٢٧٥/٥.

(٦) الأحقاف: من الآية (١٢).

(٧) البقرة: من الآية (١٧٠).

(٨) يونس: من الآية (١٨)، والنمل: من الآية (٩٢).

وتخلصت من شقائها وعذابها، فجزاء طلب الاهتداء وتحريه راجع إلى نفس المهتدي لا يتعداه لغيره، وهذا ما أدّاه وأكده أسلوب القصر[١]. وقد كشف الافتعال هنا عن الاعتراك النفسي، والصراع الوجداني عند طالب الهدى ونظائره كثيرة في كتاب الله – تعالى –.

– الاهتداء بمعنى الاسترشاد، وتعرف الاتجاهات، ومواقيت الفصول، ومن الآيات التي ورد الاهتداء فيها بهذا المعنى قوله – تعالى –: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [٢]، وقوله أيضا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[٣] ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [٤]، ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [٥]، فالاهتداء في هذه الآيات اهتداء استرشادي للتعرف على المواضع والأمكنة، فالاهتداء بالنجوم معناه: الاسترشاد بها في ظلمات البر والبحر، والتعرف على المناطق والبلدان، والتعبير بالافتعال مناسب تمام المناسبة لما هم عليه من شدة الرغبة فى الوصول إلى بيوتهم وأماكنهم، فالنجوم هي وسيلتهم الوحيدة في النجاة، ولهذا جاء التعبير بأسلوب القصر الدال على التفرد، وعدم المشاركة [٦].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٥، والبحر المديد: ٢٩٥/٤، وتفسير السراج المنير: ٥٢٥/٢، والتحرير والتنوير:٣٠٥/١١.

(٢) النساء: من الآية (٩٨).

(٣) الأنعام: من الآية (٩٧).

(٤) الأنبياء: من الآية (٣١).

(٥) النحل: الآيتان (١٦، ١٥).

(٦) ينظر: الكشف والبيان: ١٧٤/٧، والتحرير والتنوير: ١٤ /١٢٢.

– الاهتداء بمعنى الاستمرار والديمومة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُون ﴾[1]، فمعنى الاهتداء هنا: الاستمرار والديمومة على طريقة الآباء والأجداد في الكفر والضلال، وقد أدى الافتعال دوره في إبراز حرصهم على متابعة الآباء، ورغبتهم في ذلك، حتى وإن كان على حساب نجاتهم وهدايتهم الحقيقية.

– الاهتداء بمعنى العلم بالطريق المستقيم [2]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [3]، فمعنى الاهتداء في هذه الآية: العلم بالطريق المستقيم الموصلة إلى الحق. والافتعال هنا قد أفاد المبالغة، وعبر عما تحويه نفس هؤلاء الرسل من الإيمان العميق، فكأنهم قد باعوا أنفسهم لله – تعالى – فلا يتسلل لقلوبهم شك، ولا يدنسها زيغ، فكأنهم هم الهدى نفسه. ونظيره قوله – تعالى –: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[4].

– الاهتداء بمعنى الرشد والتوفيق [5]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[6] والمعنى: أن من وفقه الله وأرشده، فهو الموفَق والمرشَد، والتعبير بالافتعال فيه من المبالغة من أن هداية الله – ﷻ – مستلزمة

(١) الزخرف: الآية (٢٢).
(٢) ينظر: تفسير السراج المنير: ٤١٧/٣.
(٣) يس: الآية (٢١).
(٤) الأنعام: من الآية (٨٢).
(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/١٢.
(٦) الأعراف: من الآية (٤٣).

للاهتداء، لا يتخلف عنها من أراده بها، ونظائره في القرآن كثيرة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ [1]، وغيرها من الآيات المتشابهات.

– الاهتداء بمعنى الإقامة وعدم الرجوع عن طريق الحق[2]، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[3]، فالاهتداء في الآية الكريمة معناه: الإقامة على الإيمان، وقد أدّى الافتعال هذا المعنى بكل قوة واقتدار؛ إذ النفس البشرية عادة ما تنصرف إلى الشهوات حتى بعد إعلان التوبة، فإذا ما جاهدت واجتهدت في المصابرة عليها، فإنها ستكون مستحقة لمغفرة الله ورضوانه. كما أن في التعبير بالاهتداء دليل على تطويع النفس في التدرج من الأدنى إلى الأعلى، إذ الاهتداء نتيجة طبيعية لتدرج النفس من التوبة بمعنى مراجعة النفس أولًا، ثم الإيمان والتصديق ثانيًا، وهو عمل القلب، ثم العمل بالجوارح الذي هو بمثابة التطبيق العملي لما سبق من تدرجات الإيمان، ثم تختم هذه الأمور بشيء مهم، وهو الثبات والدوام الذي عبر عنه الاهتداء، وهو مناط القصد، وطريق النجاة. وقد حكى ابن عطية التفسيرات المتنوعة للاهتداء في هذه الآية، وكلها يجمعها معنى عام، وهو الإقامة على الشيء، وعدم الرجوع عنه، ورجح أن يكون معنى الاهتداء هنا هو "حفظ معتقداته من أن يخالف الحق في شيء من الأشياء، فإن الاهتداء على هذا الوجه غير الإيمان وغير العمل، ورب مؤمن عمل صالحا قد أوبقه عدم الاهتداء " [4].

---

(١) الأعراف: من الآية (١٧٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣١/١١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣٧١/٤ (هـ د ي).

(٣) طه: الآية (٨٢).

(٤) المحرر الوجيز: ٥٧/٤.

وأخيرا يمكن القول بأن بين الهُدَى والاهتداء فرقا كبيرا، فالاهتداء خاص بأفعال الإنسان واختياراته، فلا يسند الاهتداء إلى الله – ﷻ –؛ لأن فيه طلبًا واحتياجًا، ومُحَالُ على الله – تعالى – مثل هذه الأمور، أما الهُدَى فهو من الله وحده، لا يتعداه إلى أحد سواه.

وبعد أن أعانني الله – ﷻ – على بيان المعاني الفرعية لتلك الصيغة، سوف أقوم بعمل جدول لألفاظ الافتعال في القرآن الكريم، والتي لم تتفرع إلى معان مغايرة للمعنى العام، فضلا عن إحصاء كل صيغة وردت في كتاب الله – تعالى – وبيان معناها، وإلى من تُسند.

جدول لألفاظ الافتعال التي لم تتفرع معانيها في القرآن الكريم

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
أمر	ائتمر	مرتان	ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا	للإنسان
جبى	اجتبى	٦ مرات	الاجتباء: الاختيار والاصطفاء	لله وللإنسان
جث	اجتث	مرة واحدة	يدل على اقتلاع الشيء من أصله	للإنسان
جرح	اجترح	مرة واحدة	يدل على تعمد فعل المعصية وقصدها	للإنسان
جمع	اجتمع	مرتان	يدل على تعمد تضام الشيء، وفيه تآزر وتكاتف	للإنسان
جنب	اجْتنب	٤ مرات	مِن جنَّبه وأجنبه، إذا أبعده، ولم يسمع له فعل أمر إلا بصيغة الافتعال	للإنسان
حسب	احتسب	٣ مرات	الحسبان بمعنى الظن، والاحتساب يدل على المبالغة	للإنسان
حمل	احتمل	مرتان	بِمَعْنَى الْوَهْمِ وَالْجَوَازِ، أو الاقتضاء والتضمن	للإنسان
خصم	اختصم	ست مرات	من الخصومة، وهي الجدل والاختلاف بالقول	للإنسان
خير	اختار	٣ مرات	تكلف طلب ما هو خير، واستعملت	لله وللبشر

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
			صيغة التكلف في معنى إجادة طلب الخير	
خون	اخْتَان	٥ مرات	من الخيانة كالاكتساب من الكَسْبِ، يقال خانَه يخُونه خَوْناً. وذلك نُقصان الوَفاء.	للإنسان
ذكر	ادّكر	١١ مرة	امن الذكر ومعناه العام الاعتبار والاتعاظ	للإنسان
رضي	ارتضى	٣ مرات	العناية في الاختيار والاصطفاء	لله وللإنسان
رقب	ارتقب	٤ مرات	الانتظار، وهو أبلغ في الدلالة من المجرد	للإنسان
ريب	ارتاب	٦ مرات	يدور حول الشك	لله وللإنسان
صبر	اصطبر	٣ مرات	شدّة الصبر على الأمر الشاق.	للإنسان
صرخ	اصطرخ	مرة واحدة	والاصطراخ: التصارخ افتعال، والتصرّخ تكلف الصراخ.	للإنسان
زجر	ازدجر	مرتان	يدور حول المنع والنهي	للإنسان
زود	ازداد	٤ مرات	من الزيادة، وتكون في الخير والشر	للإنسان
زرى	ازدرى	مرة واحدة	من الزري وهو الاحتقار، وإلصاق العيب	للإنسان
سبق	استبق	٥ مرات	الابتدار والمجاوزة	للإنسان

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
ستر	استتر	مرة واحدة	الاختفاء عن أعين الناس	للعاقل وغيره
سرق	استرق	مرة واحدة	الأخذ خفية	للإنسان
سمع	استمع	١٤ مرة	تعمد السمع من أجل التدبر والتعقل	لله وللإنسان
شدد	اشتد	مرة واحدة	جاءت بمعنى العصف ومعناها القوة	للعاقل وغيره
شكى	اشتكى	مرة واحدة	يستعمل في الموجدة والمرض	للإنسان
شعل	اشتعل	مرة واحدة	من شعلت النار ومعناه الاتقاد	للعاقل وغيره
شهى	اشتهى	سبع مرات	الاشتهاء: مصدر اشتهى، وهو افتعال من الشهوة التي هي محبة نيل شيء مرغوب فيه من محسوسات ومعنويات	للإنسان
صفى	اصْطَفَى	٧ مرات	من الصفوة وهي ما خلص من اللطيف عن كثيفه ومكدره الاستخلاص من الصفوة والاجتباء	لله وللإنسان
صيد	اصطاد	مرة واحدة	يقال: اصْطادَ يَصْطادُ فهو مُصْطاد وخرج فلان يَتَصَيَّدُ الوَحْش أي يطلب صيدها	للإنسان
ضر	اضطر	٧ مرات	الإلجاء إلى ما فيه ضرر بشدة	للإنسان

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
			وقسر	
عدى	اعْتدّ	مرة واحدة	الاعتداد بمعنى العد، وليست صيغة الافتعال هنا للمطاوعة، ولكنها بمعنى الفعل، مثل: اضطر إلى كذا	للإنسان
عدو	اعتدى	١٠ مرات	التعدي في قول أو فعل أو حال	للإنسان
عذر	اعتذر	٤ مرات	تحري الإنسان ما يمحو به أثر ذنبه وذلك ثلاثة: أن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه ذنبا أو فعلت ولا أعود ونحو ذلك والثالث هو التوبة فكل توبة عذر ولا عكس	للإنسان
عرف	اعترف	مرتان	الإقرار بما ينبغي أن يكون	للإنسان
عرى	اعترى	مرة واحدة	معناه المس والإصابة	لله وللعاقل وغير العاقل
عزل	اعتزل	٥ مرات	طلب العزل وهو الانفراد عما شأنه الاشتراك	للإنسان
عصم	اعتَصم	٤ مرات	من عَصَم وهو طلب ما يعصم أي يمنع	للإنسان

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
غرف	اغترف	مرة واحدة	الاغْتِرَافُ من الماء: الغَرْفُ منه. وهو ملء صفحتي اليدين بالماء	للإنسان
فدو	افتدى	٥ مرات	البذل لما ينجو به من العذاب وما يعطى عوضاً لإنقاذٍ من تبعةٍ	للإنسان
فرى	افترى	٤٦ مرة	االكذب والقذف والإفساد، وافترى افتعال من فرى لعلّهُ لإفادة المبالغة في الفَرْي	للإنسان
قبس	اقتبس	مرة واحدة	أخذ القَبَس بفتحتين وهو الجذوة من الجمْر	للإنسان
قتل	اقتتل	٣ مرات	نشوب تصارع بين عدوين أو متشاحنين	للإنسان
قدر	اقْتَدر	٤ مرات	شدة القدرة، واقتدر أبلغ من قدر	لله– تعالى –
قرب	اقترب	٣ مرات	الاقتراب مبالغة في القرب، فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل أي اشتد قرب وقوعه بهم.	للعاقل وغيره
قرف	اقترف	٤ مرات	الاكتساب اقترف أَي: اكتَسب واقْتَرَفَ ذنباً أَي: أَتاه وفَعَلَه	للإنسان
قسم	اقتسم	مرة واحدة	يقال قَسَمْت الشيء بينهم قَسْماً وقِسْمة والقِسْمة مصدر الاقتسام	للإنسان

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
قصد	اقتصد	مرة واحدة	استقامة الطريق ومنه الاقتصاد وهو فيما له طرفان: إفراط وتفريط	للإنسان
لقط	التقط	مرتان	الالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب والالتقاط افتعال من اللقط، وهو تناول الشيء الملقى في الأرض ونحوها بقصد أو ذهول	للإنسان
لقم	التقم	مرة واحدة	الالتقام: البلْع.	للعاقل وغيره
لقي	التقى	٥ مرات	اللقاء، وصيغة الافتعال فيه للمبالغة واللقاء مصادفة الشخصِ شخصاً في مَكان واحد، ويطلق اللقاء على البروز للقتال	للعاقل وغيره
لمس	التمس	مرة واحدة	الطلب، والتَلَمُّسُ التطلب مرة بعد أخرى	للإنسان
ملأ	امْتَلأ	مرة واحدة	التشبع والاكتفاء	للعاقل وغيره
نبذ	انتبذ	مرتين	الانفراد والاعتزال، لأن النبذ الإبعاد والطرح، فالانتباذ في الأصل افتعال مطاوع نبذه	للإنسان
نشر	انتشر	٣ مرات	يدل على التباعد والتفرق	للعاقل وغيره
نظر	انتظر	١٢ مرة	التريث بفعل مَّا	لله وللإنسان
نهى	انتَهَى	٧ مرات	الانتهاء: أصله مطاوع نهى يقال: نهاه فانتهى ثم توسع فيه فأطلق	للعاقل وغيره

الكلمة المجردة	صيغة الافتعال	عدد الورود	معناها	إسنادها
			على الكف عن عمل	
هزّ	اهتز	٤ مرات	يدل على الحركة الشديدة	للعاقل وغيره
وقى	اتقى	١٠١ مرة	يدل على الخوف والحذر	للإنسان
وكأ	اتكأ	٩ مرات	الاتكاء: هيئة بين الاضطجاع والجلوس وهو اضطجاع على جنب دون وضع الرأس والكتف على الفراش. وهو افتعال من وكأ المهموز	للإنسان

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لصيغة – افتعل –، ومعانيها الفرعية في القرآن الكريم، وقدرتها على الوفاء بما يدور في النفس من نزعات وصراعات، أستطيع إجمال نتائج البحث فيما يلي:

١- أن الفعل هو مصدر الحركة والحيوية في لغتنا العربية، حتى إن كثيرًا من علمائنا يعمله أصلا للمشتقات.

٢- أن دراسة الصيغ المزيدة لها دور كبير في التعرف على الملابسات والاتجاهات النفسية عند الموقف الكلامي.

٣- بدأت إرهاصات الربط بين الجانب النفسي والصيغ الصرفية عند علمائنا القدامى لا سيما البلاغيين منهم والمفسرين، كما بدأ الحديث عن المعاني الفرعية لتلك الصيغ عند العلماء الذين جمعوا بين اللغة والتفسير، كالفيروزادي – ﷺ –.

٤- أن زيادة المبنى لا تأتي اعتباطًا، ولكن لتؤدي معاني لا تؤديها الصيغ المجردة، وهذا ما أقره اللغويون – قدامى ومحدثون –.

٥- أن الافتعال – لما فيه من تكلف ومبالغة – أكثر ما يسند إلى البشر لما فيهم من التكلف، وحب المبالغة، أما إسنادها لله – ﷻ – فهو – في أغلب الأحوال – من قبيل الحقيقة، وهو في الوقت نفسه قليل ؛ لما فيه من معنى الطلب والاشتراك والتحمل، والله – تعالى – منزه عن تلك الأمور كلها. وقد تسند لغير العاقل عن طريق المجاز.

توصيات البحث:

من خلال بحثي هذا أستطيع أن أوصي الباحثين في مجال اللغة بالآتي:

– تتبع الصيغ المزيدة في لغتنا ؛ لأنها عامل مهم من عوامل الكشف عن غناء هذه اللغة بالمعاني والمفردات، ودلالة من دلالات قدرتها على مواكبة ركب الحضارة والتطور.

– جدية الربط بين هذه الصيغ والسياقات النفسية، لا سيما في كتاب الله – ﷻ – للكشف عن مواطن الإعجاز فيه، وبيان قدرته العجيبة على وضع كل لفظ في محله.

وأخيراً، فهذا جهد المقل، ونتاج العاجز، وأسأل الله القبول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنّاء الدمياطي (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، ط: ثالثة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- أثر العامل النفسي في تغير دلالات الألفاظ، بحث للدكتور/ فرهاد عزيز محيي الدين، نشر في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية عدد (١) مجلد (٨) لسنة ٢٠١٣م
- أدب الكاتب أو أدب الكتاب لابن قتيبة، حققه وعلق على حوشيه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع.
- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- الاشتقاق، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان.
- إصلاح المنطق، المؤلف: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، المحقق: محمد مرعب، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن

المرعشلي، ط: الأولى ١٤١٨هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط: الخامسة١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.
- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د./ محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبعة: ١٤١٩هـ، الناشر: الدكتور/ حسن عباس زكي – القاهرة.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
- تاريخ علم اللغة الحديث تأليف: جرهارد هلبش، ترجمة: د/ سعيد حسن بحيري، ط: الأولى ٢٠٠٣م مكتبة زهراء الشرق – القاهرة.
- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، المؤلف: يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، الناشر: دار القلم – دمشق، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط: الأولى ١٤٠٨هـ.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: طارق فتحي السيد، ط: الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- التطور اللغوي في العربية الحديثة، د/ محمد شندول، ط: أولى ٢٠١٢م، الناشر: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع – إربد – الأردن –.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير البحر المحيط، المؤلف: العلامة: أبو حيان الأندلسى، دار النشر: دار الفكر.
- تفسير الثعالبي (المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن) للإمام /عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٧٨٦ – ٨٧٥هـ) حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه، وخرج أحاديثه الشيخ/ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الاستاذ الدكتور/ عبد الفتاح أبو سنة خبير التحقيق بمجمع البحوث الاسلامية وعضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت –

لبنان.

- تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط: الأولى الناشر: دار الحديث – القاهرة.
- تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د: محمد عبد العزيز بسيوني، ط: الأولى: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا
- تفسير الفخر الرازى، المؤلف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار النشر / دار إحياء التراث العربى(من دون تاريخ).
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق / محمد حسين شمس الدين، ط: الأولى ١٤١٩هـ، منشورات / محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهروي الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان.
- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، ط: الأولى

١٤٢٣هـ الناشر: دار إحياء التراث – بيروت.

- التفكير اللغوي بين القديم والجديد د/كمال بشر، مكتبة الشباب – القاهرة – من دون طبعة وتاريخ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق /عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م الناشر: مؤسسة الرسالة.
- الخصائص، المؤلف: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: عالم الكتب – بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- دراسات في اللسانيات التطبيقية، د/ حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ٢٠١٠م القاهرة.
- دراسات في النحو، المؤلف: صلاح الدين الزعبلاوي، مصدر الكتاب: موقع اتحاد كتاب العرب [الكتاب مرقم آليا]
- دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨١م.
- دلالة البُنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتاب الخصائص د/ محمد الأمين خويلد ، ط: أولى ٢٠١٥م، عالم الكتب – القاهرة.
- الراموز على الصحاح، المؤلف / محمد بن السيد حسن، تحقيق: د/ محمد

علي عبد الكريم الرديني، ط: الثانية ١٩٨٦م، دار النشر / دار أسامة – دمشق.

- روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى ١٤٢٢هـ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
- الزاهر فى معانى كلمات الناس، المؤلف: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، دار النشر / دار الكتب العلمية – بيروت.
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق / يوسف حسن عمر، طبعة جديدة مصححة ومذيلة بتعليقات مفيدة، جامعة قار يونس ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م.
- شرح شافية ابن الحاجب للرضي، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، الناشر: محمد علي بيضون.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.
- علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، د/ حسام البهنساوي، ط: الأولى ٢٠٠٩م، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة.
- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية د/ عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، من دون طبعة وتاريخ.
- علم اللغة النفسي، د/عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م، جامعة الإمام / محمد بن سعود الإسلامية.
- علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياه، د/ جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية – من دون طبعة وتاريخ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)المحقق: الشيخ زكريا عميرات، ط: الأولى – ١٤١٦هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الثانية، الناشر: دار المعرفة – لبنان.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني دار النشر: دار الفكر – بيروت.

- في علم اللغة العام د/ شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م
- في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث د/ شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية٢٠١٠م.
- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
- كتاب الافعال لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي، تحقيق: د/ حسين محمد محمد شرف، مراجعة د/ محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- كتاب العين، المؤلف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوى (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- الكتاب، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.
- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الناشر مكتبة ابن تيمية.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الكشف والبيان، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ/ نظير الساعدي، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، المحقق: محمد علي شاهين، ط: الأولى ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- اللباب في علل البناء والإعراب، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت ٦١٦هـ)، المحقق: د:عبد الإله النبهان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، الناشر: دار الفكر – دمشق.
- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: الأولى، الناشر: دار صادر – بيروت (من دون تاريخ).
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، طبعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، الناشر: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: الأولى ١٤٢٢هـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي تحقيق: محمود خاطر، ط: طبعة جديدة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مدخل إلى اللغة د/ محمد حسن عبدالعزيز، ط: الثالثة١٩٩٦م دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع الكويت.
- مشكلة زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم د/ محمد زنون يونس، جامعة الموصل – كلية

الآداب، المصدر: موقع رابطة أدباء الشام المكتبة الشاملة.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط: الرابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط: الأولى، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.
- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)المحقق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى ١٤١٢هـ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم».
- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، الناشر: دار الفكر.
- المُغرِب في ترتيب المُعرِب، المؤلف: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ط: الأولى ١٩٧٩م، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد – حلب.
- المغني في تصريف الأفعال، المؤلف: محمّدُ بنُ عبدِ الخالقِ بنِ عليٍّ بنِ عضيمةَ (ت ١٤٠٣هـ)، ط: الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م الناشر: دار

الحديث– القاهرة.

- مفاتيح الغيب، المؤلف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط: الأولى ١٤١٢هـ الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت.
- المقتضب المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب – بيروت.
- المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، المؤلف: أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، ط: الأولى في ذي الحجة سنة ١٣٧٣هـ – أغسطس سنة ١٩٥٤م، الناشر: دار إحياء التراث القديم.
- النحو الوافي، المؤلف: عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، ط: الخامسة عشرة، الناشر: دار المعارف.
- نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف، مرقم آليا، المكتبة الشاملة.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، ط: الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط: الأولى ١٤١٥هـ، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت.
- يَرَاعٌ في علم اللغة العام: د/ زين كامل الخويسكي. دار المعرفة الجامعية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م.